

مجلة

كلية الشيخ الطوسي الجامعة

مجلة كلية الشيخ الطوسي الجامعة  
علمية فصلية محكمة تعنى بالدراسات الإنسانية

JOURNAL

of Ash-Sheikh At-Tousy University College

علمية  
فصلية  
محكمة

Scientific  
Quarterly  
Refereed

الرقم الدولي  
٢٣٠٤ - ٩٣٠٨

السنة الأولى  
العدد (٢)

ISSN  
9308 - 2304

First year  
No.2

2

شعبان/رمضان ١٤٣٧ هـ، حزيران ٢٠١٦ م  
تصدرها كلية الشيخ الطوسي الجامعة - النجف الأشرف/العراق

Shaaban/Ramadan 1437 A.H - June 2016 A.D  
Issued by Ash-sheikh At-Tousy University College- Holy Najaf- Iraq

الرقم الدولي (٩٣٠٨-٢٣٠٤)



**مجلة**

**كلية الشيخ الطوسي الجامعة**

علمية فصلية محكمة تُعنى بالدراسات الإنسانية

تصدرها كلية الشيخ الطوسي الجامعة - النجف الأشرف/العراق.

السنة الأولى، العدد (٢)

(شعبان/رمضان ١٤٣٧هـ)، (حزيران ٢٠١٦م).

رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ببغداد (٢١٣٥) لسنة ٢٠١٥



بسم الله الرحمن الرحيم



جمهورية العراق  
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي  
جهاز الاشراف والتقييم العلمي  
قسم التعليم الاهلي

رقم الكتاب : ج ٥ / ٦٤٨٢  
التاريخ ٢٠١٢/١١/١٤

### كلية الشيخ الطوسي الجامعة

م/ محضر مجلس الكلية بجلسته الثانية للعام الدراسي ٢٠١٣/٢٠١٢  
المنعقدة بتاريخ ٢٠١٢/٩/٢٩

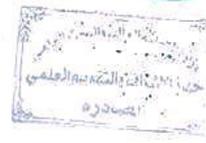
#### تحية طبية...

الحاقا بكتابتنا المرقم ج ٥/٦١٠٠ في ٢٠١٢/١١/٥ ، بشأن الفقرة (١/١٠/اولا:الشؤون العلمية) من محضر مجلس الكلية بجلسته الثانية للعام الدراسي ٢٠١٣/٢٠١٢ ، نود اعلامكم الى انه بالامكان اعتماد مجلة الكلية لاغراض الترقية العلمية وفق الية اعتماد المجالات الصادرة عن الكليات الاهلية والجمعيات العلمية لاغراض الترقية العلمية والتي يمكن الاطلاع عليها على موقع دائرة البحث والتطوير ([www.rddiraq.com](http://www.rddiraq.com))

للتفضل بالاطلاع واتخاذ مايلزم...مع التقدير.



  
المحاسب القانوني  
حيدر محمد ذرويش  
ع/رئيس جهاز الاشراف والتقييم العلمي  
٢٠١٢/١١/١٤



٥٩٥  
١٧٤٦

#### نسخة منه الى //

- ✓ مكتب رئيس الجهاز/للتفضل بالاطلاع...مع التقدير.
- ✓ دائرة البحث والتطوير / مكرتكم ب ت م ١٥٤٣/٤م في ٢٠١٢/١١/٨ مع التقدير.
- ✓ جهاز الاشراف والتقييم العلمي/قسم التعليم الاهلي/شعبة المحاضر/ مع الاوليات.
- ✓ الصناديق.



رئيس التحرير  
أ.د. سعد حمد عبد اللطيف

مدير التحرير  
د. خالد كاظم حميدي

هيئة التحرير

أ.م.د. زهير عبد المجيد الخواجة    أ.م.د. سعدية كريم الخواجة  
أ.م.د. فاضل محمد الزبيدي    أ.م.د. عبدالله شاکر الشيباني

التصحيح اللغوي  
د. هاشم جبار الزرفي

الإشراف الفني  
السيدة فاطمة محمد صاحب

الإدارة المالية  
السيد رائد جاسم محمد

---

---

دار الضياء للطباعة والتصميم



العراق - النجف الأشرف ٠٧٨٠١٠٠٠٦٠٣

[aldhia\\_company@yahoo.com](mailto:aldhia_company@yahoo.com)

## اللجنة الاستشارية

- أ.د. حسن عيسى الحكيم: رئيس جامعة الكوفة سابقا /العراق.  
أ.د. زهير غازي زاهد: الكلية الإسلامية - النجف الأشرف/العراق.  
أ.د. سعد عبد العزيز مصلوح: جامعة الكويت /الكويت.  
أ.د. عبد القادر فيدوح: جامعة قطر / قطر.  
أ.د. حبيب مونسى: جامعة الجيلالي ليابس – سيدي بلعباس /الجزائر.  
أ.د. حاكم حبيب الكريطي: جامعة الكوفة / العراق.  
أ.د. أحمد شرراش: جامعة طرابلس /ليبيا.  
أ.د. سرور طالبى المل: رئيس مركز جيل البحث العلمي /لبنان.  
أ.د. حسن مجيد العبيدي: الجامعة المستنصرية/العراق.  
أ.د. هادي حسين هادي: جامعة الكوفة/العراق.

## تعليمات النشر

### في مجلة كلية الشيخ الطوسي الجامعة

١. أن لا يكون البحث قد نُشر أو قُبِلَ للنشر في مجلة داخل العراق أو خارجه، أو مستلا من كتاب أو محملاً على شبكة المعلومات العالمية.
٢. أن يضيف البحث معرفة علمية جديدة في حقل تخصصه.
٣. أن يرعى البحث قواعد المنهج العلمي، ويرتّب على النحو الآتي: عنوان البحث / اسم الباحث بذكر درجته العلمية، ومكان عمله / خلاصة البحث باللغتين العربية والإنجليزية لا تتجاوز أيّ منهما مئتي كلمة / المقدمة / متن البحث / الخاتمة والنتائج والتوصيات / الهوامش نهاية البحث / ثبت بالمصادر والمراجع.
٤. يخضع البحث للتحكيم السري من الخبراء المختصين لتحديد صلاحيته للنشر، ولا يعاد إلى صاحبه سواء قُبِلَ للنشر أم لم يُقبَل، ولهياة التحرير صلاحية نشر البحوث على وفق الترتيب الذي تراه مناسباً.
٥. تقدم البحوث مطبوعة باستخدام برنامج (Microsoft word)، بخط (Simplified Arabic) للغة العربية، وبخط (Time new roman) للغة الإنجليزية، بحجم (١٤) للبحث و(١٢) للهوامش.
٦. تنسيق الأبيات الشعرية باستعمال الجداول .
٧. تسحب: (الخرائط، الرسوم التوضيحية، الصور) بجهاز (اسكتر) وتحمل على قرص البحث.
٨. يقدم الباحث ثلاث نسخ من بحثه مطبوعة بالحاسوب، مع قرص مضغوط (CD).
٩. لا يعاد البحث إلى الباحث إذا ما قرر خبيران علميان عدم صلاحيته للنشر.
١٠. ترتيب البحوث في المجلة يخضع لأمر فنية.

## المراسلات

توجه المراسلات الرسمية إلى مدير تحرير المجلة على العنوان الآتي:  
جمهورية العراق - النجف الأشرف - كلية الشيخ الطوسي الجامعة.

موقع المجلة على الانترنت: [www.altoosi.edu.iq/ar](http://www.altoosi.edu.iq/ar)

البريد الإلكتروني: [mjtoosi3@gmail.com](mailto:mjtoosi3@gmail.com)

نقال: ٧٨٢٧٩٦٩٣٢٦ (٠٠٩٦٤)

البريد الاعتيادي: العراق - النجف الأشرف - صندوق بريد: (٩).

تطلب المجلة من كلية الشيخ الطوسي الجامعة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

## الافتتاحية:

﴿وَقُلْ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾

بعد القبول الحسن والترحيب الذي لاقته مجلة كلية الشيخ الطوسي الجامعة في عددها الأول من المفكرين والباحثين والأدباء والمتقنين من داخل العراق وخارجه.

تنطلق مجلتنا في عددها الثاني وهي تحمل همّاً علمياً يلتقي كثيراً مع ما جاء في العدد الأول في كثير من الجوانب، وهما يحاولان معاً رسم ملامح الأعداد القادمة في محاولة لتأسيس مشروع علمي أكاديمي يرصد الإشكالات والمشكلات القديمة والمعاصرة بأشكالها المختلفة: الفلسفية والفكرية واللسانية، وكل ما يتصل بهذه الجوانب من حقول معرفية وعلوم تطبيقية تخص الجانب الإنساني.

وقد حرصنا في هذا العدد - كما في العدد السابق - على الدقة في الاختيار على مستوى نوعية البحوث وعمقها وكذلك رصانة التقويم ومئاته المنهجية فضلاً عن الجمالية في الإخراج. تدفعنا إلى كل ذلك رغبة الارتقاء نحو الأفضل على مستوى الشكل والمضمون. لتقديم الأفضل للقارئ الكريم الذي نأمل منه أن يؤدي مهمة الناقد البناء منتظرين منه النصح والتصويب لإيماننا العميق أن النقد هو مرحلة مهمة من مراحل البناء المعرفي، لذلك تفتح المجلة أبوابها مشرعة أمام السادة الباحثين والسيدات الباحثات لإبداء آرائهم ونصحهم.

ومن الله التوفيق

مدير التحرير





## التَّرخُّصُ في قرينة الرتبة دراسة لسانية في استعمال القرآن الكريم (القسم الثاني)

أ.م.د. شكيب غازي بصري الحلفي  
مركز دراسات الكوفة - جامعة الكوفة/العراق

### ملخص:

إنَّ قرينة الرتبة واحدة من القرائن المعنوية الثمان التي رتبها الدكتور تمام حسان في كتبه اللغوية، ووظيفتها الكشف عن معنى الباب النحوي من فاعلية ومفعولية وابتداء... الخ، فضلا عن وظيفتها كمؤشر اسلوبي في الكشف عن خصائص النص الادبي المتميز وتشخيص المعنى الدقيق، فهي تقوم بوظيفتين الاولى نحوية والاخرى اسلوبية- كما مبين في متن البحث - ومع ذلك لم تلق هذه القرينة اهتماما كبيرا من النحاة بسبب اهتمامهم بقرينة الاعراب فقط فضاعت بسبب هذا حقائق لغوية قرآنية كان يمكن لها ان تسهم في الكشف عن مسارات لغة القرآن الكريم. إنَّ هذه الدراسة الموسومة بـ(الترخُّص في قرينة الرتبة- دراسة في استعمال القرآن الكريم) سبقتها دراستان الأولى (الترخُّص في القرآن الكريم - دراسة في المفهوم)، والثانية (الترخُّص في القرنية الإعرابية - دراسة في استعمال القرآن الكريم) في ضمن مشروع ((الترخُّص في القرآن الكريم)) يمتد بامتداد القرائن الثلاث عشرة التي وضعها الدكتور تمام حسان

في كتبه اللغوية، وقد جاء البحث على قسمين الأول: مفهوم الرتبة وأنواعها وأثرها في المعنى، والثاني: التطبيقات القرآنية على الظاهرة، ثم الخاتمة وثبت بالمصادر والمراجع وملخص باللغة الانكليزية.

#### Abstract:

The study also included three chapters, the first one entitled (the structural dimension within three topics, the first is dedicated for the phonetic structure, the second for the morphological structure, while the third is for the grammatical structure. As for the second chapter, it carried the title "the semantic dimension" , it came in two sections, the first studied the tools of creating an image and the second studied the types of the used images in the contexts of the senses terms. As for the third chapter, it is entitled "the pragmatic dimension", it came in two sections, the first tackled the speech acts and the second discussed the speech elements according to Jaqubson's theory.

#### مقدمة:

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الانبياء والمرسلين  
ابي القاسم محمد وعلى آله وصحبه المنتجبين.  
أما بعد...

فلعلّ من الثابت عند المتخصصين أن النص القرآني نصّ عجز عن مجاراته أهل القول على الرغم من براعتهم فيما نظموه شعرا أو ارسلوه نثرا، فقد فارق الشعر والنثر من حيث السمات فكان قرآنا في اسلوبه وسماته على وفق اعراف اللغة ولكن بطريقة مخصوصة أخرجته من منطقة المؤلف إلى منطقة الاعجاز، فبسبب من هذا بدأت محاولات تفسير هذه الظاهرة القرآنية تفسيريا علميا امتدت من سؤالات نافع ابن الازرق لأبن عباس إلى الان، كلّ يحاول ان يجيب عن كيف اصبح هذا النص معجزا؟ بالرغم من:

١. ان المفردات التي استعملها القرآن الكريم هي المفردات نفسها التي استعملتها العرب.

٢. ان الاعراف اللغوية التي التزم بها الشعراء والادباء هي نفسها التي التزم بها النص القرآني.

فلماذا اصبح نصاً معجزاً على الرغم من تشابه المادة والاعراف<sup>(١)</sup>؟ فقال بعضهم: انه معجز بغريبه فظهرت كتب الغريب، وقال آخرون انه معجز بفصاحته وبلاغته فظهرت عشرات المؤلفات في معانيه وإعرابه، إلى غيرها من المحاولات التي انتهت برأي النظام<sup>(٢)</sup> القائل بالصرفة ليغلق بهذه الدعوة باب العمل الفكري في الكشف عن سرّ الاعجاز فيه، فإذا ما وصلنا إلى القرن الخامس الهجري بزغ عقل كبير تمثل بالشيخ عبد القاهر الجرجاني (ت ٤٧١هـ) من خلال كتابه الشهير (دلائل الاعجاز) ليقدّم لنا (نظرية النظم) التي فسرت سرّ الاعجاز من خلال التركيب<sup>(٣)</sup>، يقول الجرجاني: ((وها هنا أمر عجيب وهو أنه معلوم لكل من نظر أن الألفاظ من حيث هي ألفاظ وكلم ونطق لسان لا تختص بواحد دون آخر وأنها إنما تختص إذا توخى فيها النظم))<sup>(٤)</sup>، الذي عدّ سرّ الاعجاز فيه.

إن قرينة الرتبة واحدة من القرائن المعنوية الثمان التي رتبها الدكتور تمام حسّان في كتبه اللغوية، ووظيفتها الكشف عن معنى الباب النحوي من فاعلية ومفعولية وابتداء... الخ، فضلاً عن وظيفتها كمؤشر اسلوبي في الكشف عن خصائص النص الادبي المتميز وتشخيص المعنى الدقيق، فهي تقوم بوظيفتين الاولى نحوية والاخرى اسلوبية- كما مبين في متن البحث- ومع ذلك لم تلق هذه القرينة اهتماماً كبيراً من النحاة بسبب اهتمامهم بقرينة الاعراب فقط فضاعت بسبب هذا حقائق لغوية قرآنية كان يمكن لها ان تسهم في الكشف عن مسارات لغة القرآن الكريم.

إن هذه الدراسة الموسومة بـ ((الترخّص في قرينة الرتبة- دراسة في استعمال القرآن الكريم)) سبقتها دراستان الاولى ((الترخّص في القرآن

الكريم-دراسة في المفهوم))، والثانية: ((الترخص في القرنية الإعرابية-دراسة في استعمال القرآن الكريم)) في ضمن مشروع: ((الترخص في القرآن الكريم)) يمتد بامتداد القرائن الثلاث عشرة التي وضعها الدكتور تمام حسّان في كتبه اللغوية، وقد جاء البحث على قسمين الاول: مفهوم الرتبة وانواعها واثرها في المعنى، والثاني: التطبيقات القرآنية على الظاهرة، ثم الخاتمة وثبت بالمصادر والمراجع وملخص باللغة الانكليزية.

### القسم الأوّل: الجانب النظري:

#### أولاً: مفهوم الترخُّص:

كنت قد انتهيت من بحث سابق<sup>(٥)</sup> إلى ان الترخص ظاهرة لغوية تمثل تطبيقاً محترفاً وعالياً لنظام اللغة وأعرافها، وأنها ليس خروجاً على النظام، بل هناك ضوابط لا بدّ من توافرها تتمثل بضرورة توفر قرينة لغوية (لفظية أو معنوية) تقوم مقام القرينة التي أهدرت، وإلا نسب الكلام إلى الخطأ، ذلك ان اللغة- بوصفها نظاماً- تتكون من مجموعة أنظمة جزئية تؤلف بمجمّلها وحدة النظام الكلي وتعدد القرائن في الجملة الواحدة من اجلى مظاهر ذلك النظام ولهذا ((جرت عادة بعض علماء اللغة ان يشبهوا هذا النظام بنظام اجهزة الجسم الإنساني، كل جهاز في الجسم الإنساني، وكل عضو يعمل من اجل الحياة، وكذلك الانظمة اللغوية تعمل من اجل الفهم والإفهام، وأعضاء الجسم الإنساني خلقت لكي يعمل كل منها عند الحاجة إليه، وقد يؤدي الإنسان عملاً من الاعمال ببعض أعضائه التي أعدت وخلقت لمثل هذا العمل، وهو بالطبع لا يستعمل الاعضاء الاخرى غير المهيأة لهذا العمل، ولا يعني هذا أنّ الإنسان يستغني عن العضو الذي يشارك في كل عمل فيسمح ببتره مثلاً))<sup>(٦)</sup>، وكذا القرائن اللغوية، ولكل منها مكان لا يسد اختلاله مكان قرينة اخرى في الجملة، وقد تجتمع في جملة مجموعة منها من دون بعضها، وليس من اللازم ان

تجتمع كل القرائن بلا استثناء في كل جملة من الجمل، ولا يعني هذا انه يجوز لنا ان نلغي قرينة من القرائن عندما يكون نصيها في بيان المعنى النحوي ضئيلاً، وما دام الأمر يتطلب ان تحتوي الجملة أكثر من قرينة فهي لذلك تتطلب كفاءة لغوية وقدرة في استعمال النظام استعمالاً جيداً، ولهذا لم نجدها إلا في النصوص اللغوية العالية كالنص القرآني وانعدم أو قل مجيؤها في النصوص البشرية، ولذلك يمكن ان نجد لكثير مما أطلق عليه النحاة بـ(الشاذ والغريب والخطأ...<sup>(٧)</sup> الخ) تفسيراً على وفق ظاهرة الترخص.

إن القاعدة التي وضعها النحاة كانت ((تلخيص لتقلب العلاقات السياقية التي تقوم بين عناصر السياق وما يصاحب هذا التقلب من تغير في المباني اللغوية ومن ثم تكون وصفاً لتقلب العلاقات))<sup>(٨)</sup>، ولكنهم وقعوا في أخطاء منهجية من حيث المكان والزمان فخرج جمع كبير من مادة اللغة ولم يستطع النحاة ملاحظته بسبب تمسكهم بمنهجهم في جمع المادة اللغوية، فضلاً عن أنهم جعلوا العلامة الاعرابية هي القرينة الأساس التي في تحديد المعنى وفاتهم ان هناك قرائن متعددة يمكن ان نستعين بها لأجل تحديد المعنى منها الرتبة والربط والتضام... الخ، ولهذا نجدهم يذهبون إلى التأويل إذا ما خالف القول القاعدة في الظاهر، ((ومن هنا لا ينبغي ان تكون القاعدة معياراً على مستوى العلم، وان وجب ان تكون كذلك على مستوى التعليم في قاعة الدرس، ومعنى ذلك انه يقبل من العالم الباحث ان يقول: العرب تقول كذا، والعرب تقدم كذا على كذا، ويمتنع كذا، فالعالم الباحث ينظر إلى مشكلة الصواب والخطأ من زاوية اجتماعية ترى الاستعمال سنة متبعة، والمعلم ينظر (وهو على حق) إلى هذه المشكلة من زاوية فرض القاعدة على الاستعمال، الباحث يستنبط القاعدة بالأسلوب العلمي من المستعمل والمعلم يفرضها بالأسلوب التعليمي على الاستعمال نفسه، والصواب عند الباحث ما جرى به الاستعمال وعند المعلم ما حددته القاعدة، وصاحب السليقة كالباحث لا يهتم من أمر القاعدة شيء مادام حدسه اللغوي يرى الصواب

فيما قيل<sup>(٩)</sup>)، وعلى هذا الأساس لا يمكن ان نجعل من معيار الصحة النحوية أساساً تقاس عليه سلامة القول - وهي ليست دعوة إلى الفوضى بقدر ماهي دعوة إلى إعادة استقراء اوسع لما يتوقع ان يقال من كلام البشر- لان القاعدة أضيق من ان تحيط بالكلام على أوجه قلبه واحتمالات تعدد صوره لارتباطهما بالكفاءة اللغوية عند المتكلم، وذلك ان البشر باستطاعتهم ان يكونوا جملاً عديدة لم يسمع بها من قبل - ومنطقاً - لا يمكن ان نضع قواعد بعدد المقول ولهذا نجد ان كل القواعد التي وضعها النحاة انما هي قواعد كلية، وأما الاستثناءات التي جمعها قولهم (لكل قاعدة شواذ) فهو إجراء جعلوا به الكثير من القول أساس القاعدة والقليل (المخالف للقاعدة) هو الشاذ، وهو إجراء خاطئ لان القاعدة لا تؤسس على وفق الكم من القول، وإنما على القول كله مادام ان الكلام يكشف عن وعي المتكلم وتصوراته وآماله وتطلعاته، وأما خطأ التفسير لجملة-ظن النحاة انها تخالف القاعدة- فليس القصور بالجملة انما القصور بقدرتهم على حل ظاهرة اللغة بصورة عامة، وسأعرض هنا ما خالف ظاهر اللغة مع رصد التفسير المنطقي لها.

### ثانياً: الرتبة (لغة):

يدل المعنى اللغوي للجذر (رَبَّ) على الثبات والتموضع، جاء في معجم العين ((الرُّتُوبُ: الانتصاب كما يُرْتَبُ الصَّبِيُّ الكَعْبُ إرتاباً))<sup>(١٠)</sup>، وعَيْشٌ رَاتِبٌ: ثَابِتٌ دَائِمٌ، وَأَمْرٌ رَاتِبٌ أَي دَارٌ ثَابِتٌ<sup>(١١)</sup>، والمُصَلِّي يَرْتَبُ أَي يَنْتَصِبُ<sup>(١٢)</sup>، والرُّتْبَةُ واحدةٌ من رُتَبَاتِ الدَّرَجِ. وَرُتْبَتُهُ وَرَتْبَتُهُ سَوَاءٌ، وَالمُرْتَبَةُ: المنزلة عند الملوك ونحوها، وَتَرْتَبَ فلانٌ أَي عَلَا رُتْبَةً أَي دَرَجَةً<sup>(١٣)</sup>.

فالملاحظ من النصوص اعلاه دلالتها على الثبات وعدم التغير، فضلاً عن دلالتها على قيمة الفرد في مجموعته ودوره الكبير - وهذا المعنى - لا يختلف عن مفهومها الاصطلاحي - كما سيرد ..

### ثالثاً: الرتبة (اصطلاحاً):

لم ترد مفردة الرتبة لوحدها، وإنما الذي ورد (قرينة الرتبة)، بوصفها واحدة من القرائن المقالية الثلاث عشرة<sup>(١٤)</sup>، ولذلك يجب -منهجياً- ان نقدم مفهوم القرينة أولاً، ومن ثم مفهوم الرتبة ثانياً، فالقرينة ((في اللغة فعيلة بمعنى المفاعلة مأخوذة من المقارنة وفي الاصطلاح امر يشير إلى المطلوب))<sup>(١٥)</sup>، وهي تتمتع التباس الاشياء ببعض، ولأهميتها نجدها في علوم كثيرة ومتعددة، فقد قسمها التهانوي (من رجال القرن الثاني عشر) على اربعة اقسام في كشفه<sup>(١٦)</sup>، أما الرتبة فهي ((قرينة لفظية وعلاقة بين جزأين من أجزاء السياق يدل موقع كل منهما من الآخر على معناه))<sup>(١٧)</sup>، والواضح ان معنى الاصطلاح لا يبعد عن معناه اللغوي؛ إذ يدل على المنزلة أو القيمة الموقعية في الكلام<sup>(١٨)</sup>؛ فهي تعنى بملاحظة ((موقع الكلمة في التركيب الكلامي))<sup>(١٩)</sup>.

إن قرينة الرتبة من الظواهر اللفظية التي تُسهم في تحديد مواقع الكلمات ومعانيها في السياق الواردة فيه، ف((تُساعد على رفع اللبس عن المعنى بتحديد موقع الكلمة فيها))<sup>(٢٠)</sup>؛ فكل كلمة أو عبارة تتخذ موضعاً خاصاً بها، وترتيباً خاصاً، فإن تغير ذلك الترتيب أو زال، تغيرت دلالتها في سياق التركيب الكلامي<sup>(٢١)</sup>، وترتبط وظيفتها السياقية بالسوابق واللواحق على أساس ذلك الموقع الثابت لها في السياق، وهذا يوحي بتعالق أجزاء الكلام وتماسكها، فالتركيب الكلامي يرتكز بشكل أساس على ((موقع العنصر وهو ثابت نسبياً في التركيب اللغوي))<sup>(٢٢)</sup>، ما يعني أن هذا الترتيب يُعطي الجملة العربية نظاماً خاصاً، متى ما تغير ذلك الترتيب اختل النظام، فلو تقدمت كلمة على أخرى أو حرف على فعل؛ لاختل المعنى أو اختلف وانتفت دلالة التركيب أو تغيرت، وقد يصبح مجرد كلمات مصفوفة لا ترابط بينها، وعليه فالإخلال بقرينة الرتبة يُخرجها من كونها نسقاً ويفقدها دلالتها بالضرورة<sup>(٢٣)</sup>.

فالقول بـ"الرتبة" يدفعنا إلى توقع الترابط بين العناصر المكوّنة للجملة، بما يضمن لها تلازماً على هذه الحال، فليس بمقدور أي تركيب أن يُعبّر عن الأفكار الذهنية المقصودة من دون التزام دقيق لترتيب منظم، يعينه على أداء المهمة بدقة، ولا سبيل إلى تحقق ذلك من دون مراعاة الأحكام التي تحفظ لكل كلمة رتبها في الجملة<sup>(٢٤)</sup>.

وبهذا يكون مصطلح (قرينة الرتبة) عبارة عن علامة دالة على المعنى النحوي في الجملة كمعنى الفاعلية والمفعولية... الخ ومن دونها يصبح الكلام غير ذي فائدة، وهي مؤشر أسلوبية يكشف عن خصائص النص المتميز بوساطة التطبيق الامثل لإمكانات النظام اللغوي.

#### رابعا: قرينة الرتبة في التراث:

من خلال متابعة كتب التراث (نحوية ولغوية وبلاغية) اتضح ان مصطلح الرتبة ومفهومها لم يكن غائبا عن وعي العلماء، فقد وردت اشارات قيمة في ذلك، وان الذي كان غائبا هو الترتيب المنهجي لهذه الظاهرة، وسيتابع البحث جذور الظاهرة على النحو الآتي:

#### ١- عند النحاة:

((لقد جعل النحاة لمواقع الكلام رتباً بعضها أسبق من بعض ، فثمّة تصوّر لهم يكشف عن أنّ رتبة العمدة قبل رتبة الفضلة ، فرتبة المبتدأ قبل رتبة الخبر، ورتبة ما يصل إليه الفعل بنفسه قبل رتبة ما يصل إليه بحرف الجر، وإن كانا فضلتين، ورتبة المفعول الأول قبل رتبة المفعول الثاني))<sup>(٢٥)</sup>؛ لأنه فاعل في المعنى<sup>(٢٦)</sup>.

فترتيب الكلمات في العربية يتجه نحو الاستقرار؛ لأنّ النحو يفرض على الكلمات ترتيباً لا يتغير<sup>(٢٧)</sup>، أمّا التغيير الحاصل هو نتيجة لتغيير الحالة الانفعالية

للمتكلم<sup>(٢٨)</sup>؛ لأن ((الحالة النفسية والعصبية لأي إنسان تنعكس على انفعالاته وسلوكياته ومنها السلوك اللغوي))<sup>(٢٩)</sup>، فالترتيب يفرضه المقصد الدلالي لدى المتكلم، يكون ذلك على وفق دعامتين لغوية أو نفسية- سيأتي بيان ذلك-، ما يؤكد أن الترتيب الكلامي يأخذ حيزين في إنتاج الدلالة هما "الثبات الواقعي، وحرية الحركة"، يؤكد ذلك (فندريس) بقوله: ((الحقيقة أنه لا توجد لغة واحدة تسيّر في ترتيب الكلمات على حرية مطلقة، كما لا توجد لغة واحدة ترتيب الكلمات فيها جامد لا يتحرك))<sup>(٣٠)</sup>.

وتزداد ((أهمية الرتبة في اللغات الخالية من الإعراب))<sup>(٣١)</sup>، وهي أكثر وروداً مع المبنيات منها مع المعربات، وورودها مع الأدوات والظروف من بين المبنيات أكثر اطراداً منه مع غيرها، وربما يرجع ذلك إلى أن عدم وجود العلامة الإعرابية في المبنيات قد جنح بها إلى قرينة الرتبة، وجعلت الرتبة عوضاً لها عن العلامة الإعرابية<sup>(٣٢)</sup>.

إن الذي اتضح من رصد الظاهرة عند النحاة القدامى؛ هناك فريقان الأول لم يذكر المصطلح صراحة، والآخر ذكره صراحة من خلال تقسيمه للأبواب تقسيماً بحسب المعنى النحوي، فمن الفريق الأول نذكر (سيبويه) (ت ١٨٠هـ) في الكتاب، (والفراء) (ت ٢٠٧هـ)، في (معاني القرآن)، و(المبرد) (ت ٢٨٥هـ) في (المقتضب)، فأما (سيبويه) يقول في باب الفاعل الذي يتعداه فعله إلى مفعول: ((وذلك قولك: ضَرَبَ عبدُ الله زيداً... انتصب زيداً لأنه مفعول تعدى إليه فعلُ الفاعل. فإن قدمت المفعول وأخرتَ الفاعل جرى اللفظُ كما جرى في الأول، وذلك قولك: ضَرَبَ زيداً عبدُ الله؛ لأنك إنما أردت به مؤخراً ما أردت به مقدماً، ولم تُرد أن تشغلَ الفعل بأول منه وإن كان مؤخراً في اللفظ. فمن ثمَّ كان حدَّ اللفظ أن يكون فيه مقدماً، وهو عربيٌّ جيدٌ كثير، كأنهم إنما يقدمون الذي بيانه أهم لهم وهم بيانه أعنى، وإن كانا جميعاً يهَمَّانهم ويعنيانهم))<sup>(٣٣)</sup>، فتقديم المفعول جاء للاهتمام به والعناية<sup>(٣٤)</sup>.

وكان من معاييرهم في ذلك- التقديم والتأخير- أن العامل رتبته التقديم ثم يأتي بعده المعمولات، فالجملة الفعلية مثلاً يكون ترتيبها على تقديم الفعل، ثم يأتي بعده الفاعل، ثم المفعول به<sup>(٣٥)</sup>، ولم يجوزوا تقديم الفاعل على عامله، في حين جوزوا حرية التقديم للمفعول به، فقدموه على الفاعل والفعل معاً<sup>(٣٦)</sup>، ومعارهم في ذلك أمن اللبس وتحقيق الفائدة، فإذا اتضحت الدلالة السياقية في تقديمه فلا مانع من الترتيب اللفظي؛ لأنه يعتمد في ذلك على الترتيب المعنوي للسياق.

أما من الفريق الثاني فلعل ابن السراج (ت ٣١٦هـ) أول من قدم اهتماماً لهذه الظاهرة من خلال قوله: ((أما تقديم المضمرة على الظاهر الذي يجوز في اللفظ فهو أن يكون مقدماً في اللفظ مؤخراً في معناه ومرتبته، وذلك نحو قولك: (ضرب غلامه زيد) كان الأصل: (ضرب زيد غلامه)، فقدمت ونبئت التأخير، ومرتبة المفعول أن يكون بعد الفاعل))<sup>(٣٧)</sup>. - وقد عرض البحث في أثناء الحديث عن الرتب المحفوظة - ثلاثة عشر باباً يندرج ضمن الرتب المحفوظة ك(الموصول وصلته، والتوابع، والتمييز والفاعل، والمضاف والمضاف إليه وغير ذلك).

وقد أشار إليها (السيرافي) (ت ٣٦٨هـ) في شرحه كتاب سيبويه، يقول ((إذا بنيت الفعل على الاسم قلت: زيد ضربته، فلزمته الهاء، يعني أنك إذا جعلت زيدا هو الأول في الرتبة، فلا بد من أن ترفعه بالابتداء، فإذا رفعت بالابتداء فلا بد من أن يكون في الجملة التي بعده ضمير يعود إليه، وتكون هذه الجملة مبنية على المبتدأ، كأنك قلت: زيد مضروب))<sup>(٣٨)</sup>.

## ٢- عند علماء اللغة:

ومن علماء اللغة (ابن جني) (ت ٣٩٢هـ) الذي درس هذا الجانب في إطار تناولهم أهمية التقديم والتأخير، ففصل القول في بيان مواضع الرتبة، ومدى أثرها في المعنى النحوي أو السياقي في كتابه (الخصائص)، من ذلك

قوله في باب "نقض المراتب إذا عرض هناك عارض": ((من ذلك امتناعهم من تقديم الفاعل في نحو ضرب غلامه زيدا، فهذا لم يمتنع من حيث كان الفاعل ليس رتبته التقديم، وإنما امتنع لقرينة انضمت إليه، وهي إضافة الفاعل إلى ضمير المفعول، وفساد تقدم المضمرة على مظهره لفظاً ومعنى))<sup>(٣٩)</sup>؛ لئلا يعود الضمير على متأخر لفظاً ورتبة<sup>(٤٠)</sup>.

### ٣- عند علماء البلاغة:

يعتقد الدكتور تمام حسّان ان مصطلح (الترتيب) الذي ذكره الشيخ الجرجاني: ((قصد به إلى شيئين؛ أولهما ما يدرسه النحاة تحت عنوان "الرتبة"... وثانيهما ما يدرسه البلاغيون تحت عنوان التقديم والتأخير))<sup>(٤١)</sup>؛ ف((الترتيب عمل يعمله مؤلف الكلام في معاني الكلم لا في ألفاظها))<sup>(٤٢)</sup>، فلا يقع الترتيب بحكم اللفظ من غير قصد له في المعنى<sup>(٤٣)</sup>، فسياق الكلام قائم عندهم على أساس الربط بين الترتيب والقصد الدلالي، كما يقول في ذلك (الجرجاني)(ت٤٧١هـ): ((لا يكون الترتيب في شيء حتى يكون هناك قصد إلى صورة وصنعة، إن لم يُقدّم، ولم يؤخر ما آخر وبدئ بالذي يُثنى به أو تُني بالذي ثلث به لم تحصل لك تلك الصورة وتلك الصنعة))<sup>(٤٤)</sup>، حتى بدت الرتبة -عندهم- فن من الفنون التي يوظفونها في أساليبهم، وأجادوا في توظيفها في السياق الكلامي ووضعه الموضع الذي يقتضيه، وأن أخذ الكلمة مكانها في الأسلوب ناشئ عن ارتباط معناها بجاراتها<sup>(٤٥)</sup>. ومن ثم أن الترتيب يتركز على معنى السياق، فغالباً ما ينصرم -الترتيب عندهم- في الفضاء الدلالي على وفق ضوابط تراتبية؛ كالمعلق الزماني والمكاني، والفضل والشرف، والكلي والجزئي، وغير ذلك<sup>(٤٦)</sup>.

يتضح مما تقدم أن علماء اللغة والنحو قد رصدوا ظاهرة الرتبة في كلام العرب ولكن طبيعة اللغة العربية المعربة جعلتهم يركزون اهتمامهم على

الاعراب فقط، ولم يسموا قرينة الرتبة الا عندما يتعرضوا إلى دقة المعنى الذي يعطيه التزام العنصر اللغوي رتبة واحدة لا تتغير.

### خامسا: نوعا الرتبة.

قسم اللغويون الرتبة على قسمين:

**الأول: الرتب المحفوظة:** وهي رتب محفوظة في النظام وفي الاستعمال، إذ لا يجوز تغيير موقعها مطلقا، ومتى اختل الموقع أدى إلى اختلال التركيب<sup>(٤٧)</sup>، فأى اختلال يلحق بها يُبعد التركيب عن الصواب، ولهذا تُعد محفوظة في نظام اللغة، والاستعمال في الوقت نفسه<sup>(٤٨)</sup>، ما يدل على أن ترتيب العناصر اللغوية في السياق الكلامي مرتبط بضوابط تحد من حريتها غالبا ما تتعلق بالمعنى الوظيفي؛ إذ بواسطتها ((يمكن تحديد موقع الكلمة بين أقسام الكلم كما يمكن تحديد معنى الأبواب النحوية ومن ثم معرفة وظائفها))<sup>(٤٩)</sup>. وهي أربع عشرة رتبة ذكرها ابن السراج:

١. تقديم الاسم الموصول على الصلة.
٢. حرف الجر على الاسم المجرور.
٣. تأخير البيان عن المبين.
٤. المعطوف بالنسق عن المعطوف عليه.
٥. التوكيد عن المؤكد.
٦. البديل عن المبدل.
٧. التمييز عن الفعل ونحوه.
٨. المضاف اليه على المضاف.
٩. الأفعال التي لا تتصرف مثل (نعم وبئس وفعلا التعجب وليس وأسماء الأفعال).
١٠. ما اعمل من الصفات تشبيها بأسماء الفاعلين وعمل عمل الفعل.

١١.العوامل من الاسماء والحروف التي تدخل على الافعال عاملة كانت أم مهملة مثل:(إن وأخواتها ونواصب الفعل المضارع وجوازمه وأدوات الشرط ولا النافية وحرف التحقيق"قد"وسوف وأدوات التحضيض.

١٢.الحروف التي لها صدر الكلام(عملة أم مهملة)، مثل:(لا التي لنفي الجنس ولام الابتداء).

ان يفرق بين العامل والمعمول بما ليس فيه سبب وهو غريب عنه.  
١٣.تقديم المضمر على الظاهر في اللفظ والمعنى.

١٤.التقديم إذا لبس على السامع انه مقدم نحو:(ضرب موسى عيسى)و(اخي صديقي) إذا كان طرفا الاسناد معرفة.

هذه هي مواضع الرتب المحفوظة التي ذكرها ابن السراج(٣١٦هـ)في الاصول<sup>(٥٠)</sup>.

الثاني: الرتب غير المحفوظة: وهي رتبة في النظام فقط والعدول عنها ينقل النص إلى الادبية مثل:(رتبة تقديم الخبر على المبتدأ والمفعول على الفعل والحال على صاحبه في حالة معينة...الخ)، فيمكن للمتكلم ان يأتي بها متقدمة أو متأخرة بحسب الموقف والسياق إذا أمن اللبس فإن لم يؤمن وجب حفظ الرتبة ، وهذه الرتبة هي الأخرى تتطلب نوعين من الوظيفة في سياق الكلام ؛ إذ ثمة نوعان من حرية الرتبة:

أولهما: يتقدم فيه المتأخر مع المحافظة على وظيفته السياقية، نحو تقدم "الخبر على المبتدأ" ، و"المفعول به على الفاعل" ، أو "على الفعل نفسه" ، الذي يجرس الوظيفة السياقية لهذه المفردات هو "العلامة الإعرابية" ، وكذلك إذا توسط خبر كان وأخواتها أو تقدم عليها ، وكذلك اسم أن إذا تأخر وتوسط الخبر وهو ظرف أو جار ومجرور وهكذا<sup>(٥١)</sup>.

وثانيهما: ما يتقدم فيه المتأخر ولكنه لا يبقى على وظيفته السياقية التي كان عليها، بل ينتقل إلى وظيفة أخرى، نحو تقدم الفاعل على الفعل، ينقله

من فاعل إلى مبتدأ، نحو قولك: "قام محمد"، إذا تقدّم محمد لم يعد فاعلاً، بل يصبح مبتدأ<sup>(٥٢)</sup>.

فالرتبة غير المحفوظة ((رتبة مجردة في الذهن تمثل أصلاً من أصول النحو صالحاً؛ لأن يعدل عنه إلى ظاهرة التقديم والتأخير وهي ظاهرة مرتبطة بالأسلوب الذي هو عمل فردي في الأساس))<sup>(٥٣)</sup>، فينتج بسبب هذا مصطلحان الأول العدول وهو فكرة نحوية، والثاني التقديم والتأخير وهي فكرة ترتبط بالأسلوب إلى نظام اللغة<sup>(٥٤)</sup>، فهي تنطلق من دواع أسلوية؛ ولذا انصب اهتمام البلاغيين عليها<sup>(٥٥)</sup>؛ لكونها تمنح المتكلم الحرية في التعبير.

إنّ الرتبة غير المحفوظة على الرغم من رفع القيود عنها وإعطائها الحرية في الترتيب، إلا أنها قد تكون أصعب وأدق من تقييدها؛ لأن ممارسة الحق في التقديم والتأخير لا بد من أن يفني بمتطلبات المقام والانسجام بين المباني، وعليه يمكن عدّ الرتبة المحفوظة علماً والرتبة غير المحفوظة فناً<sup>(٥٦)</sup>. وهناك فرق بين العلم والفن، وإن كانا خاضعين لقانون المنزلة<sup>(٥٧)</sup>.

ومن أمثلة الرتبة غير المحفوظة ((رتبة المبتدأ والخبر، ورتبة الفاعل والمفعول، ورتبة الضمير والمرجع، ورتبة الفاعل والتمييز، ورتبة المفعول به والفعل، وغيرها))<sup>(٥٨)</sup>.

وثمة نوع آخر من الرتب، يسميها (تمام حسان) بـ"أشباه الرتب"<sup>(٥٩)</sup> ليس هنا محل البحث فيها، وإذا كانت بعض الابواب النحوية يجوز فيها تشويش رتبته، فإن بعضها يجب حفظ رتبته في الاستعمال وهي:

١. إذا كان الخبر فعلاً مسنداً إلى ضمير المبتدأ المستتر نحو (زيد قام)، لئلا

يلتبس المبتدأ بالفاعل<sup>(٦٠)</sup>، فيجب هنا حفظ الرتبة كي لا يختلط الفاعل بالمبتدأ<sup>(٦١)</sup>.

٢. إذا كان المبتدأ والخبر معرفتين نحو (زيد أخوك) فيجب تقديم المبتدأ

هنا وتأخيره خطأ.

٣. يجب الحكم بان المتقدم حال في قوله تعالى: ﴿خُشَعًا أَبْصَارُهُمْ﴾<sup>(٦٢)</sup>،  
لثلا يلتبس التمييز بالصفة فهما لا يتقدمان على عاملهما<sup>(٦٣)</sup>، بينما يجوز تقديم  
الحال على صاحبه<sup>(٦٤)</sup>.

٤. إذا غابت القرنية الاعرابية في الفاعل والمفعول وذلك في الاسم  
المقصور مثل (ضرب موسى عيسى) إذ يتعذر ظهور العلامة عليهما وعندئذ  
يجب حفظ الرتبة فلا نعرب موسى الافاعلا.

ومثلما يجب حفظ الرتبة إذ خيف اللبس، يجب تغيير الرتب خوف  
اللبس ايضا في مواضع الرتبة غير المحفوظة ف((إذا اقتضت ذلك ضرورة  
تركيبية فيصبح العكس رتبة محفوظة كرتبة الكاف في نحو: "أكرمك الله")<sup>(٦٥)</sup>،  
ومن ذلك مثلا وجوب تقديم الخبر ليكون رتبة محفوظة وهي المواضع التي  
ذكرها ابن عقيل في قوله<sup>(٦٦)</sup>:

ونحو عندي درهم ولي وطر ملتزم فيه تقدم الخبر  
كذا إذا عاد عليه مضمير مما به عنه مينا يخبر  
كذا إذا يستوجب التصديرا كأي من علمته نصيرا

إشارة إلى المواضع التي يجب فيها تقديم الخبر وهي:

الأول: أن يكون المبتدأ نكرة ليس لها مسوغ إلا تقدم الخبر والخبر ظرف  
أو جار ومجرور نحو عندك رجل وفي الدار امرأة فيجب تقديم الخبر هنا فلا  
تقول رجل عندك ولا امرأة في الدار وأجمع النحاة والعرب على منع ذلك  
وإلى هذا أشار بقوله ونحو عندي درهم ولي وطر البيت فإن كان للنكرة مسوغ  
جاز الأمران نحو رجل ظريف عندي وعندي رجل ظريف.

الثاني: أن يشتمل المبتدأ على ضمير يعود على شيء في الخبر نحو في  
الدار صاحبها فصاحبها مبتدأ والضمير المتصل به راجع إلى الدار وهو جزء  
من الخبر فلا يجوز تأخير الخبر نحو صاحبها في الدار لثلا يعود الضمير على  
متأخر لفظا ورتبة.

الثالث: ما له صدر الكلام كأدوات الاستفهام .  
وكذلك يجب تقديم المفعول حفاظا على دقة المعنى، إذا كان مفعولا به  
ضميرا منفصلا ليصبح رتبة محفوظة.

### خامساً: الرتبة والاسلوب:

يقول الدكتور تمام حسان: ((أميل إلى الاعتقاد أن عبد القاهر حين  
صاغ اصطلاحه "الترتيب" قصد به إلى شيئين؛ أولهما ما يدرسه النحاة تحت  
عنوان "الرتبة"... وثانيهما ما يدرسه البلاغيون تحت عنوان التقديم  
والتأخير))<sup>(٦٧)</sup>، ثم يفسر الدكتور تمام هذا الاتجاه بقوله: ((ولكن دراسة  
التقديم والتأخير في البلاغة دراسة لأسلوب التركيب لا للتركيب نفسه أي انها  
دراسة تتم في نطاقين احدهما مجال حرية الرتبة حرية مطلقة والاخر مجال  
الرتبة غير المحفوظة))<sup>(٦٨)</sup>، ولا يتناول دراسة الرتبة المحفوظة لأنها جزء من  
النظام الذي يحفظ قداسة اللغة في التعبير، وأن هذه الرتبة لو اختلفت لذهب  
المعنى وفسد النظام، فلا يجوز تقديم الاسم على الحرف فنقول (زيد إلى) بدلا  
عن (إلى زيد) وتقديم الصلة على الاسم الموصول فنقول (جاء ابوه الذي) بدلا  
عن (جاء الذي ابوه) وتقديم الخبر على المبتدأ عندما يكون طرفا الاسناد  
معرفتين فنقول (صديقي أخي) بدلا عن (أخي صديقي)... الخ من الرتب  
المحفوظة<sup>(٦٩)</sup> التي يجب حفظها.

إن العربية تعتمد الاعراب كإحدى القرائن المميزة للمعنى اضافة إلى  
القرائن الاخرى، مما اتاح لها حرية التعبير بأشكال متعددة على وفق المعنى  
والمقام، فهذه الظاهرة جعلت العربية لغة مرنة، قابلة لتقلبات كبيرة، ومتعددة  
بتعدد معاني الإنسان هذا من جانب، هذه الظاهرة جعلتها لغة دقيقة إلى حد  
ترفض معه كل تركيب خاطئ فضلا عن دقتها في التفرقة بين المعاني، بخلاف  
اللغات الأخرى كالانكليزية مثلا التي تعتمد التراتب في بناء جملها، ولذلك لا  
تملك حرية تغيير الرتب النحوية غير المحفوظة فضلا عن المحفوظة، فمثلا يمكن

ان نجعل من جملة (جاء زيد إلى الجامعة) عدة جمل هي (زيد جاء إلى الجامعة) و(إلى الجامعة جاء زيد) و(زيد إلى الجامعة جاء)... الخ، في حين يلزم الفاعل رتبة واحدة في الجملة الانكليزية وهي تقدمه على الفعل فلا يصح ان نقول (write ali) في جملة (Ali write)، وإنما جاز التقديم والتأخير في العربية ولم يحز في الانكليزية؛ لان العلامة الأعرابية تلاحق المفردة في أي موقع إعرابي تكون فيه دالة على وظيفته النحوية دلالة واضحة، وليس هذا في الانكليزية، وقد أشار الدكتور محمد خير الحلواني إلى نحو من هذا فقال: ((والأعراب بهذه الوظيفة أغنى اللغة العربية عن أن تجعل تركيبها ذا حدود صارمة مقيّدة لا يمكن تجاوزها والخروج على أعرافها، كما هو الحال في اللغتين الفرنسية والإنجليزية، ومن هنا لم يكن التركيب فيها بحاجة إلى فعل الكون، أو إلى فعل مساعد، كما لم تكن به حاجة إلى تقديم الفاعل وتأخير المفعول تقديمًا واجبًا، ولا يشترط أن يكون الاسم قبل الفعل المخبر عنه، لأن صرامة التركيب جاءت في اللغتين الفرنسية والإنكليزية تعويضاً عن فقدان الأعراب الذي كان لأهمها اللاتينية والجرمانية اللتين تفرّعتا عنهما))<sup>(٧٠)</sup>، ولا يعني هذا أن نجعل من القرنية الاعرابية هي الاساس في الدلالة على المعنى وإنما يجب الالتزام بمبدأ (تضافر القرائن)<sup>(٧١)</sup>، وهذا يفسر اتساع قدرة اللغة العربية في التعبير عن أدنى معاني فكر الإنسان تعبيراً دقيقاً، وهو يفسر في الوقت نفسه سرّ اختيار القرآن الكريم لها؛ لأنها استطاعت أن تلبّي رغبات السماء في مخاطبة الإنسان، لذلك يكون أثر القرآن في حفظ اللغة العربية رأياً مبالغاً فيه<sup>(٧٢)</sup>.

إنّ اللّغة العربيّة - كما تقدم - تعتمد الإعراب عكس اللّغات الأخرى، كالإنكليزية مثلاً فإنها تعتمد الترتاب<sup>(٧٣)</sup>، وقد وفرّ الإعراب للعربيّة حريّة في تغيير رتب الجملة لأنّ العلامة ملازمة للعنصر اللغوي أينما كان ولذلك ينظر إلى الرتبة بأنها: ((قرينة نحوية ووسيلة اسلوبية؛ أي إنها في النحو قرينة على المعنى وفي الأسلوب مؤشر أسلوبية ووسيلة إبداع وتقليب عبارة واستجلاب



معنى أدبي))<sup>(٧٤)</sup>، ولكن إذا كانت الرتبة محفوظة صحَّ أن نسميها رتبة، فما بال الرتبة غير المحفوظة تُسمّى رتبة؟ الجواب: إنَّ الرتبة غير المحفوظة رتبة في نظام اللغة لا في استعمال النظام لأنها في الاستعمال معرضة للقواعد النحوية من حيث عود الضمير، ثم للاختيارات الاسلوية من حيث التقديم والتأخير، فإن التقديم والتأخير في الرتب (غير المحفوظة) اختيار أسلوبِي يَتمرد على القاعدة ويرجع إليها إن أحاط الكلام لبس<sup>(٧٥)</sup>، فهو ذو ميزة خاصة ولذلك عدّه الجرجاني (ت٤٧١هـ) من مزايا النظم الراقي، قال: ((فلا تزال ترى شعراً يروقك مسمعه، ويلطف لديك موقعه، ثم تنظر فلا تجد سبباً إن راقك ولطف عندك، إن قدم فيه شيء، وحوّل اللفظ عن مكانه إلى مكان آخر))<sup>(٧٦)</sup>، فهو باب ((يشتمل على أسرار دقيقة))<sup>(٧٧)</sup>، وبهذا الفهم يكون التقديم والتأخير بنية خاصة تفيد دلالة معينة لا يفيدها ترتيب آخر للعناصر اللغوية في البنية نفسها<sup>(٧٨)</sup>، إذ ينظر في هذا الشأن إلى كمية العدول وكيفيته، وهو عدول يظهر في عوامل نفسية تكثف عملية التخاطب، منها التشويق والتفاؤل والاختصاص والتعريض وغيرها<sup>(٧٩)</sup>.

إنَّ قرينة الرتبة علامة دالة على معنى الباب النحوي كالفاعلية والمفعولية والابتداء، ولهذا نجد أن قيمتها كمقولة نحوية ولسانية تبدو من خلال حاجة المتكلم والمستمع إلى معرفة ذلك القانون الذي تسير عليه اللغة، وإلى إدراكه طريقة تعبيرها، ولو من خلال ما يكنه من معارف خافية ملكية، إذ قد يوجد من لا يعرف أن هذا متقدم وهذا متأخر، ولكنك حين تخاطبه على غير النسق اللغوي المقبول، الذي هو ملكته اللغوية، يجد نفسه قادراً على أن يقول لك: إنَّ هذا الكلام غير موافق للنمط اللغوي الصحيح بسبب سوء استعمال النظام، ومن هنا عدت قرينة الرتبة: ((قرينة نحوية ووسيلة أسلوبية، أي أنها في النحو قرينة على المعنى، وفي الأسلوب مؤشر أسلوبِي ووسيلة ابداع وتقليب عبارة واستجلاب معنى أدبي))<sup>(٨٠)</sup>، والمراد بالمعنى أي معنى الباب النحوي: ((فهي تساعد على رفع اللبس عن المعنى بتحديد موقع الكلمة فيها))<sup>(٨١)</sup>، والمراد

بالمؤشر الاسلوبي انتقال النص من النفعية إلى الادبية بوساطة تحريك العناصر اللغوية التي تحتفظ برتب غير محفوظة كتقديم الخبر على المبتدأ وتقديم المفعول على الفعل استجابة لدقة المعنى، ولذلك لا يجب البحث عن الترخص في الرتب المحفوظة إذ انها ثابتة لا تتغير لا في النظام ولا في الاستعمال.

### سادساً: الدراسات السابقة:

- ينبغي - لأسباب منهجية - عرض الدراسات السابقة التي تناولت ظاهرة الرتبة في الدرس النحوي أو البلاغي، وقد رصدتها على النحو الآتي:
1. القرائن العلائقية وأثرها في الاتساق (سورة الانعام أنموذجاً، دراسة وصفية احصائية) سليمان بوراس، إشراف أ.د. فرحات عياش لسنة ٢٠٠٨-٢٠٠٩، وتقع في مائة وسبعين ورقة من الحجم الكبير.
  2. القرائن النحوية اللفظية والاتساق النصي، سليمان بوراس بإشراف الأستاذ الدكتور عياش فرحات، وهي اطروحة دكتوراه كلية الآداب واللغات-قسم اللغة العربية، الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية-جامعة الحاج لخضر باتنة، وتقع في مائتين وخمسين صفحة من الحجم الكبير.
  3. قرنية الرتبة في اللغة العربية، م.م. أمل باقر جبارة، بحث منشور على شبكة الانترنت (٢٠١١م)، ويقع في سبعة وعشرين صفحة من الحجم الكبير.
  4. أثر القرائن العلائقية في اتساق النصّ في نهج البلاغة (خطب الحروب أنموذجاً)، إيناس عبد براك بشأن الحدراوي، وهي رسالة ماجستير بإشراف الأستاذ الدكتور عبد الكاظم محسن الياسري، عام ٢٠١٥ وتقع في مائتين وخمس صفحات من الحجم الكبير، وتعدّ دراسة استقصائية لظاهرة القرائن العلائقية في اللغة العربية.

## القسم الثاني: التطبيقات القرآنية:

تقدم ان الرتبة نوعان، رتبة محفوظة ورتبة غير محفوظة، والرتبة المحفوظة رتبة في النظام والاستعمال فلا ترخص فيها، ورتبة غير محفوظة يجوز فيها الترخص لأنها تتغير بحسب دقة المعنى وجمال الأسلوب، ولذلك سيتبع البحث مختارات من النص القرآني:

### أولاً: تغيير رتبة الخبر:

إن الأصل المعهود عند أغلب النحاة تقديم المبتدأ أو ما في رتبته على الخبر؛ لأسباب منها عد المبتدأ هو الموصوف والخبر هو وصف له، وكذلك كون المبتدأ محكوماً عليه والخبر هو الحكم<sup>(٨٢)</sup>، ولكن قد يحدث أن يتقدم الخبر على المبتدأ؛ لتحقيق فائدة بلاغية أو معنوية، مع مراعاة سياق الحال والمقال، ما يولد أثراً واضحاً في تحقيق الاتساق والانسجام داخل مكونات الوحدة النصية، ومن ثم التأثير البالغ في نفس المتلقي، وهذا ما يتغيه المتكلم، فيرى أحد الباحثين أن العدول يتوافق والنفس الإنسانية؛ إذ يقول: ((التغيير في الترتيب أمر طبيعي؛ لأن الكلام يعبر عن نفس إنسانية تختلج فيها الانفعالات والمشاعر وتخضع لأحاسيس شتى مما يضطرها إلى تأكيد أجزاء من الجملة بتقديمها، أو تشويق السامع إلى أجزاء متممة قطع ذكره لها))<sup>(٨٣)</sup>. فالتقديم والتأخير يعد أداة أسلوبية غالباً ما يتكئ عليها المتكلم بغية إظهار المعاني الدلالية بحسب ترتيبها في نفسه وشدة انتباه المتلقي والتأثير فيه عن طريق تحريك حسه الفني وعواطفه<sup>(٨٤)</sup>، فمن تقديم الخبر وتأخير المبتدأ قوله تعالى:

﴿هَذَا نِ حَصْمَانِ اِخْتَصَمُوا فِي رِبِّهِمْ فَالَّذِينَ كَفَرُوا قَطَعْت لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ يُصَبُّ مِّن فَوْقِ رُؤُوسِهِمُ الْحَمِيمُ يُصْهَرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ، وَلَهُمْ

مَقَامِعٌ مِنْ حَدِيدٍ<sup>(٨٥)</sup>، فالآية (لهم مقامع من حديد) بينة متحوّلة من البنية الأصل (مقامع لهم من حديد) وإذا كان تشويش رتب العناصر اللغويّة-كما تقدم- يأتي اختياراً اسلوبياً فكيف نفسره؟ أقول: إنَّ جملة الأصل (مقامع لهم من حديد) علاقات الألفاظ فيها ستكون ضعيفة لأن شبه الجملة (من حديد) وهي هنا كاشفة ومبيّنة ستعود في جزء من عائدتها إلى الجار والمجرور (لهم)، في حين أن بنية التحوّل-والتي يسمّيها التوليدون بنية التنفيذ<sup>(٨٦)</sup>- ستكون شبه الجملة (من حديد) كاشفة-حصراً- للمادة التي تصنع منها تلك المقامع في أنها من حديد، وتخصيص دلالة (لهم) عندئذ للكافرين فقط ((أي لتعذيبهم))<sup>(٨٧)</sup> ودلالة التخصيص هذه ستعمم في بنية الأصل فلا تخصّ الكافرين فقط، فالاختيار الأسلوبي-إذن- في الآية حقّق دلالتين الأولى: تخصيص شبه الجملة (من حديد) للكشف عن مادة المقامع، وثانيها تخصيص العذاب بالكافرين فقط وهاتان الدالتان ستتغيران لو جاءت الصياغة القرآنية بنية الأصل، ومن مواضع تقديم الخبر على المبتدأ: ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلًا فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَاكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾<sup>(٨٨)</sup>، فالبنية المحوّل عنها هي (شركاء فيه متشاكسون) أو (متشاكسون فيه شركاء) وإنما حوّل النصّ القرآني هذه البنية إلى بنية أخرى طلباً لمعنى دقيق وذلك إنَّ تقديم الظرف (فيه) جعل هذا العبد الذي يعبد آلهة متعدّدة ظرفاً صالحاً للضياع وفقدان التوازن بعدما تجاذبته الأهواء وفرّقه الاتجاهات وهو المعنى الذي أفرزته الصفة (متشاكسون) فإنَّ ((النكرة وإن وصفت يحسن تقديم خبرها))<sup>(٨٩)</sup> ودليل ذلك إنَّ (في) - بحسب ما يقول سيبويه (ت ١٨٠هـ) - ((للوعاء))<sup>(٩٠)</sup>، والوعاء ظرف للمظروف الماء أو أي سائل آخر فهي لا تخرج عن الظرفيّة البتة فكأن هؤلاء الشركاء المتشاكسون أصبحوا متلبسين (مظروفين) بذلك الرجل (الظرف) كلّ يدعيه له ويأمره بأمره، في حين أن دلالة بنية الأصل (شركاء فيه متشاكسون) أو (متشاكسون فيه شركاء) لا تعطي هذا المعنى الدقيق، ففي الجملة الأولى

المفترضة يكون المثل المضروب هم (الشركاء) لا العبد، وفي الثانية يكون المثل المضروب هم (المتشاكسون) لا العبد ايضاً، ولذلك ينبغي ألا نفسر كل تقديم وتأخير لشرف المقدم أو مكانته أو أهميته فهناك دواعٍ أخرى تتعلق في أن اختيار البنى الاسلوبية يأتي لضرورات المعنى من دقة الفروق أو ملاءمة الموقف، وقيل ان (فيه) صلة (شركاء) وهو مبتدأ خبره (متشاكسون)<sup>(٩١)</sup>، والراجح ان ((فيه ليس بصلة لشركاء كما قيل بل هو خبر له ويبان انه في الأصل كذلك مما لا حاجة إليه))<sup>(٩٢)</sup>.

### ثانياً: حفظ رتبة الخبر وجوباً:

تقدم ان رتبة الخبر نوعان؛ رتبة يجوز تشويشها وأخرى يجب حفظها، فالتى يجوز تشويشها إذا كان الخبر شبه جملة (جار ومجرور أو ظرف) نحو: (زيد في الدار) فيجوز ان تقول: (زيد في الدار وفي الدار زيد)، والتي يجب حفظها إذا كان طرفا الاسناد معرفتين أو نكرتين وليس معهما قرينة تبين المخبر عنه من المخبر به<sup>(٩٣)</sup>، ولعل التزام الرتبة هذا يفرضه عليه جانب المعنى، إذ إنه لم يحافظا على ذلك حدث اللبس واختل سياق التواصل الذي هو هدف اللغات الإنسانية، فإذا كان الخبر معرفة كالمبتدأ لم يجوز تقديم الخبر لأنه مما يشكل ويلبس، إذ كان كل واحد منهما يجوز ان يكون خبراً ومخبراً<sup>(٩٤)</sup>، ففي قولنا: محمد أخي، ليس يدري المخاطب أنت تخبر أن محمداً هو أخوك وشقيقك أم انك تريد أن تقول: إن محمداً هذا هو الأخ الحقيقي، فإذا لم يكن هناك رتبة تدلنا على المعنى وتشير إلى أن المخبر عنه هو محمد، وأن الخبر هو الوصف بالإخوة، وهذا يلبسه يرفضه العرف اللغوي ويأباه ولذلك كانت الرتبة في هذا التركيب واجبة الالتزام ولولا ذلك لكان الخلط وحدث اللبس<sup>(٩٥)</sup>، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾<sup>(٩٦)</sup>، وسبب حفظ الرتبة كون الخبر كالمبتدأ معرفة في جملة (الذي اهتدوا... أولئك وهم مهتدون) فالمبتدأ (الذين) جاء خبره

بعده محافظا على الرتبة بينهما وتمثل في لفظ (أولئك )، أما في الجملة الثانية فقد جاء الخبر متمثلا في لفظ (مهتدون) وجاء محافظا على رتبة التأخر عن مبتدئه لفظ(هم)، وبه فقد حافظ المبتدأ على رتبة التقدم، ورعى الرتبة بينه وبين الخبر.

### ثالثا: تغيير رتبة الفاعل:

يجيز الكوفيون تقديم الفاعل و تأخيره، ولا يجيز البصريون ذلك فالاسم -عندهم- الواقع في الابتداء يعرب مبتدأ وما بعده من جملة فعلية في محل خبر، والمهم ان هناك تحوّل يصيب الجملة عندما تتغير رتبة الفاعل، كما في قوله تعالى: ﴿اللَّهُ يَسْطُرُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾<sup>(٩٧)</sup>، وهي جملة اسمية محوّلّة عن جملة فعلية أصلها ((يسطر الله الرزق))، ولكن ما الفرق بين التعبيرين؟ والجواب ان المعنى في الجملة القرآنية المختارة تركيز على (المحدث) وهو الفاعل وليس على الحدث، لان الفاعل لا يتحوّل إلى مبتدأ عندما يتقدم بل يعطي وظيفة أخرى لأثراء المعنى في الموقع المتقدم على المسند فهو يعبر عن الاهتمام بالمتقدم أو تأكيده أو كون المسند مختصا به أو مقصورا عليه<sup>(٩٨)</sup>، وهي المعاني التي لا تتحقق في الجملة الفعلية الاصلية، لان التقديم هو تبادل المواقع، فتترك الكلمة مكانها في المقدمة لتحل محلها كلمة أخرى، فتؤدي غرضا بلاغيا ما كانت لتؤدي لو أنها بقيت في محلها الذي حكمت به قاعدة الانضباط اللغوي<sup>(٩٩)</sup>.

### رابعا: عكس الرتبة وجوبا:

تقدم<sup>(١٠٠)</sup>، انه يجب عكس الرتبة غير المحفوظة لتصبح رتبة محفوظة في موضعين اولهما؛ إذا خيف اللبس وثانيهما؛ إذا فقد المعنى الدقيق، وهي إشارة تكشف عن ان امكانات القول وتغيرات التركيب اكبر من ان تحيط بها قاعدة نحوية تصير من القول اعرافا جامدة، ومن شواهد حفظ الرتبة غير المحفوظة

تقديم المفعول به وجوبا إذا كان ضميرا منفصلا كقوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾<sup>(١١)</sup>، كي تختص الاستعانة به لوحده سبحانه وتعالى من دون غيره وهو المعنى الذي لا يتحقق فيما لو قدم المفعول فقلنا: (نعبدك ونستعينك) إذ يحتمل عبادة الله وعبادة غيره، جاء في البحر المديد ((«إياك» مفعول «نستعين» وقدّم أيضاً للاختصاص والاهتمام، كما تقدم في: «إياك نعبد» وكرر الضمير ولم يقل: إياك نعبد ونستعين؛ لأن إظهاره أبلغ في إظهار الاعتماد على الله، وأقطع في إحضار التعلق بالله والإقبال على الله وأمدح، ألا ترى أن قولك: بك أنتصر وبك أحتمي وبك أنال مطالبني - أبلغ وأمدح من قولك: بك أنتصر وأحتمي))<sup>(١٢)</sup>، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيْمَانِهَا خَيْرًا قُلِ انظُرُوا إِنَّا مُنْتَظِرُونَ﴾<sup>(١٣)</sup>، ومحل الشاهد هنا تقديم المفعول (نفسا) على الفاعل (إيمانها) وجوبا ((لان الفاعل لو تقدم لعاد الضمير الذي فيه على متأخر لفظ ورتبة، والحق ان الفاعل في هذه الآية وضع في موضع لا يمكن له معه تقديم أو تأخير مع فصل بين المفعول به وصفته، أما عدم امكان التقديم فلما مر من عود الضمير على متأخر، وأما التأخير مع الفصل الذي يأتي الفاعل بحسبه بعد انقضاء صفة المفعول به (نفسا) فانه سيجعل الفاصل بين الفعل (ينفع) وفاعلها (إيمانها) من الطول بحيث تضعف العلاقة الاسنادية والسياقية بين الفعل والفاعل، تأمل ما يؤول إليه التركيب عندئذ إذ يكون على الآتية: ((يوم يأتي بعض آيات ربك لا ينفع لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيرا إيمانها)) وهكذا يضعف ارتباط فعل القول بفاعله، ومن ثم يمكن القول إنه لا يمكن ان يتغير ترتيب الكلام في هذه الآية على الرغم ما فيها من الفصل بين الموصوف وصفته - وما أحسنه وما أوجهه!))<sup>(١٤)</sup>، فاصبح تقديم رتبة المفعول هنا ضرورة ترتبط بصحة الكلام وجمال الاسلوب الذين سيفقدان فيما لو تقدم الفاعل مفعوله، ومثل ما تقدم تقديم المفعول لأجله أولا ثم المفعول به

الموصوف بشبه الجملة ثم الفعل وفاعله في قوله تعالى: ﴿أَتَفَكَّا آلِهَةً دُونَ اللَّهِ تُرِيدُونَ﴾<sup>(١٠٥)</sup>، وكان بحسب القاعدة التعليمية أن يقول: (أتريدون آلهة دون الله إفكا)، ولو قال هكذا ((لانظفاً كل ما في الكلام من حرارة الانكار ولبدا الكلام وكأنه سؤال لهم عما يفضلونه من أنواع الشرك))<sup>(١٠٦)</sup>، في حين أن التركيب القرآني أختار: ﴿أَتَفَكَّا آلِهَةً دُونَ اللَّهِ تُرِيدُونَ﴾ ليدل على ان الالهة من دون الله (إفكا) وهي توضيح وبيان لما بعدها قال الزمخشري: ((فسر الإفك بقوله: ﴿آلِهَةً﴾ مَنْ: ﴿دُونَ اللَّهِ﴾ على أنها إفك في أنفسها. ويجوز أن يكون حالاً، بمعنى: أتريدون آلهة من دون الله أفكين))<sup>(١٠٧)</sup>، ومن ذلك تقديم الخبر إذا كان شبه جمل وفي المبتدأ ضمير يعود على بعض الخبر كقوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾<sup>(١٠٨)</sup>، وهي من المواضع التي يجب فيها عكس رتبة الخبر ليصبح تقديم الخبر رتبة محفوظة ولا يجوز تشويشها لثلا يعود الضمير على متأخر لفظاً ورتبة، والشاهد القرآني هو نفس الشاهد النحوي (في الدار صاحبها) فلو لم تحفظ الرتبة وقدم الخبر فقلنا: (صاحبها في الدار) لعاد الضمير على متأخر لفظاً ورتبة وهو مما لا يجوز ولاختلاف المعنى عن الجملة الاولى<sup>(١٠٩)</sup>.

## دواعي الترخّص:

### أ - الأسباب اللغوية:

١- العناية والاهتمام: ومن أوائل من أشار لهذا المقصد (سيبويه) في كتابه كما سبقت الإشارة إلى ذلك، يقول: ((إنما يقدمون الذي بيانه أهم لهم وهم ببيانه أعنى ، وإن كانا جميعاً يُهمّانهم ويعنيانهم))<sup>(١١٠)</sup>، ولا يقف (الجرجاني) عند هذا الحدّ إنّما يذكر دلالة أعمق من ذلك لتعلق تفسيره بالبنية العميقة للنصّ ، إذ يقول: ((إنّ معنى ذلك أنّه قد يكون من أغراض الناس في

فعل ما أن يقع بإنسان بعينه، ولا يبالون من أوقعه، كمثل ما يعلم من حالهم في حال الخارجي يخرج فيبعث ويفسد، ويكثر به الأذى... فإذا قتل وأراد الأخبار بذلك، فإنه يقدم الخارجي، فيقول: (قتل الخارجي زيد ولا يقول: زيد قتل الخارجي لأنه يعلم أنه ليس للناس أن يعلموا القاتل له زيد جدوى وفائدة))<sup>(١١١)</sup>، فتغيير الترتيب هنا جاء لمراعاة حال المتلقي، وهذا ما يتضح من قوله أعلاه.

٢- الاختصاص: وهو أن يختص حدث أو ظرف أو حال لشخص محدد ونفيه عن غيره، يقول (الجرجاني): ((وهو أن يكون الفعل فعلاً قد أردت أن تنص فيه على واحد فتجعله له، وترغم أنه فاعله، دون واحد آخر أو دون كل أحد))<sup>(١١٢)</sup>، نحو قوله تعالى: ﴿إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ﴾<sup>(١١٣)</sup>، فصيورة الأمور خاصة بالله تعالى دون غيره.

٣- إفادة العموم: وعادة ما يكون بتقديم أدوات العموم كـ"جميع وكل" وهذا يختص بأسلوب النفي، كتقديم أداة العموم على أداة النفي، نحو قولك: "كل إنسان لم يقم" نفيت القيام عن كل واحد من الناس، بعكس لو قدمت أداة النفي على أداة العموم نحو قولك: "لم يقم كل إنسان" لم يشمل النفي جميع الناس<sup>(١١٤)</sup>.

٤- تقوية الحكم: يفيد التقديم أحياناً تقوية الحكم، وذلك عند تقديم المسند إليه، نحو قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ﴾<sup>(١١٥)</sup>، فقد ذكر الضمير "هم" ثم كرره من خلال الفاعل في الفعل "يشركون"، يفيد التأكيد في نفي الإشراك عنهم، وإذا قال: ((والذين لا يشركون بربهم أو: بربهم لا يشركون، لم يفد ذلك))<sup>(١١٦)</sup>.

## ب - الأسباب النفسية:

غالباً ما ينتج التغيير في الترتيب السياقي من مكوّن نفسي فـ(( مجرد تغيير موضع الكلمة عن المعتاد يُشير إلى غرض ما في نفس المتكلم فيستطيع أن يُعبّر

عن الأفكار المهمة بوضعها في المقدمة سواء أكان الأهم فعلاً أم فاعلاً أم مفعولاً أم ظرفاً<sup>(١١٧)</sup>، وهذا ناتج عن طبيعة التجربة الشعورية ومدى تعلقها بالأبعاد النفسية؛ إذ تثير انفعالات مابيناً للانفعال الذي يريده المتكلم في نفس المتلقي، ومن ثم إيصال المعنى المراد إليه؛ لغرض إثارته ومن ثم استمرار تواصله<sup>(١١٨)</sup>، ومن المعاني النفسية التي يعبر عنها: هي: "الشك، التشوق، التلذذ، الدهشة، وغيرها".

غالباً ما تتعالق قرينة الرتبة مع القرائن الأخرى؛ لتحديد المعنى النصي، ولاسيما القرائن اللفظية، وفي مقدمتها قرينة التضام؛ لكون الترتيب مفتقراً للتضام، ومن ثم يكون تابعاً له، وعليه فالرتبة ((فرع على التضام بمعناه العام، إذ لا رتبة لغير متضامين))<sup>(١١٩)</sup>، فهي علاقة نحوية بين جزأين مرتبين من أجزاء السياق تخضع لمطالب أمن اللبس، فيدل موقع كل منهما من الآخر على معناه الوظيفي أو الباب النحوي الذي ينتمي إليه<sup>(١٢٠)</sup>؛ إذ يكون أحدهما مفتقراً إلى الآخر نحو: (الصلة والموصول، أو الصفة والموصوف وغيرها)؛ فلا يجوز تقديم الصلة على الاسم الموصول، أو تقديم الاسم المجرور على حرف الجر، وقد قرر النحاة منع تقديم الحال على صاحبها المجرور بحرف الجر، فلم يجزوا قول القائل "مرت واقفاً برجل". ويرى (الرضي) إن كان صاحب الحال مجروراً فإن الجر معه بالإضافة إليه لم يتقدم الحال عليه اتفاقاً سواء كانت الإضافة محضة أو لا، لأن الحال تابع وفرع لذي الحال، ومثله المضاف إليه لا يتقدم على المضاف، فلا يتقدم تابعه أيضاً<sup>(١٢١)</sup>، ما يعني مدى تعالقهما في أداء المعنى، إذ يتوقف أداء المعنى المراد على الترتيب والتضام.

## خاتمة:

يمكن ادراج اهم النتائج التي توصل اليها البحث على النحو الاتي:  
 ١. إن الرتبة قرينة لفظية وعلاقة بين جزأين من أجزاء السياق يدل موقع كل منهما من الاخر على معناه.

٢. تؤلف هذه القرينة احد دعائم النظام اللغوي الدقيق، ولذلك يؤدي خرقها إلى اللبس الذي عدّ آفة البيان، ومن هنا قسمها النحاة على قرينة محفوظة واخرى غير محفوظة لتحديد مساحة الحركة الجائزة للعنصر اللغوي.

٣. الترخص ظاهرة لغوية تمثل تطبيقاً محترفاً وعالياً لنظام اللغة وأعرافها، وإنها ليس خروجاً على النظام، بل هناك ضوابط لا بد من توفرها تتمثل بضرورة توفر قرينة لغوية (لفظية أو معنوية) تقوم مقام القرينة التي أهدرت، وإلا نسب الكلام إلى الخطأ، ذلك ان اللغة- بوصفها نظاماً- تتكون من مجموعة انظمة جزئية تؤلف بمجملها وحدة النظام الكلي وتعدد القرائن في الجملة الواحدة من اجلى مظاهر ذلك النظام ولهذا جرت عادة بعض علماء اللغة ان يشبهوا هذا النظام بنظام اجهزة الجسم الانساني، كل جهاز في الجسم الإنساني، وكل عضو يعمل من اجل الحياة، وكذلك الانظمة اللغوية تعمل من اجل الفهم والإفهام، وأعضاء الجسم الإنساني خلقت لكي يعمل كل منها عند الحاجة إليه، وقد يؤدي الإنسان عملاً من الاعمال ببعض اعضائه التي اعدت وخلقت لمثل هذا العمل، وهو بالطبع لا يستعمل الاعضاء الاخرى غير المهياة لهذا العمل، ولا يعني هذا ان الانسان يستغني عن العضو الذي يشارك في كل عمل فيسمح ببتره مثلاً، وكذا القرائن اللغوية، ولكل منها مكان لا يسد اختلاله مكان قرينة اخرى في الجملة، وقد تجتمع في جملة مجموعة منها من دون بعضها، وليس من اللازم ان تجتمع كل القرائن بلا استثناء في كل جملة

من الجمل، ولا يعني هذا انه يجوز لنا ان نلغي قرينة من القرائن عندما يكون نصيها في بيان المعنى النحوي ضئيلا، وما دام الأمر يتطلب ان تحتوي الجملة أكثر من قرينة فهي لذلك تتطلب كفاءة لغوية وقدرة في استعمال النظام استعمالا جيدا، ولهذا لم نجدها إلا في النصوص اللغوية العالية كالنص القرآني وانعدم أو قل مجيؤها في النصوص البشرية، ولذلك يمكن ان نجد لكثير مما أطلق عليه النحاة بـ(الشاذ والغريب والخطأ... الخ) تفسيراً على وفق ظاهرة الترخص.

٤. ان الترخص في قرينة الرتبة ظاهرة لغوية لتقديم المعنى الدقيق ولا يكون الترخص الا في الرتب غير المحفوظة ولا ترخص في الرتب المحفوظة ولذلك عدت الاخيرة رتبة في النظام والاستعمال والاولى رتبة في النظام فقط.

٥. إذا كانت بعض الابواب النحوية يجوز تشويش رتبها تقديماً وتأخيراً، فان هذه الأبواب نفسها تحفظ رتبها وجوباً وتشويشها يعدّ خطأ كما لو كان المبتدأ والخبر معرفتين نحو محمد أخي، أو ان الخبر شبه جملة وفيه ضمير يعود على بعض المبتدأ نحو في الدار صاحبها، فهي مما يستثنى من القاعدة فيجب حفظها.

٦. إن الترخص في رتبة بعض الابواب النحوية لا يعدّ عبثاً في النظام اللغوي أو الاستعمال انما يكون طلباً لمعنى دقيق لا يؤديه فيما لو انشأ الكلام على معيارية القاعدة.

٧. لم تكن نظرية الرتبة غائبة عن وعي القدماء، فقد عرض البحث جملة من اقوال النحاة كسيويه وابن السراج وابن جني والجرجاني مما يشير إلى رصدهم لهذه الظاهرة ولكن لم يكن رصداً منهجياً يستطيع ان يحل كثيراً من مشاكل فن القول ولذلك كثرت التأويلات وتعددت بسبب اعتمادهم قرينة واحدة وهي قرينة الاعراب.

٨. إن ترخص النص القرآني في بعض الابواب المعنى جاء حفاظاً على تقديم دقيق للمعنى، ولو لم يترخص في القاعدة لضاع المعنى ودقته.

٩. كشف البحث عن دواعي الترخص في قرنية الرتبة، فقد يُترخص لأسباب لغوية أو نحوية عرضها الحث في بابها.

### هوامش البحث:

- (1). المراد بالأعراف اللغوية مجموعة القواعد التي تمثل نظام اللغة وان الخروج عنها يمثل خطأ.
- (2). النظام استاذ للجاحظ وهما معتزليان قالوا بالصرقة في اعجاز القران الكريم.
- (3). لا ضرورة لبيان (نظرية النظم) هنا فقد افاضت كتب البلاغة والاسلوب ببيانها وألفت بذلك كتباً كثيرة، ولكن اود القول ان جملة معاني النحو التي وردت في نص عبد القاهر الجرجاني (٤٧١هـ) (( ليس النظم شيئاً غير توخي معاني النحو وأحكامه فيما بين الكلم)) دلالات الاعجاز: اللجرجاني: /٢٩٣، اراد بها ب الفرق بين جهات الاسناد في الجمل المتشابهة.
- (4). دلالات الاعجاز: ٣٤٣/١.
- (5). ظ: الترخص في لغة القران الكريم- دراسة في المفهوم- م. د. شكيب غازي بصري الحلفي، مجلة مركز دراسات الكوفة العدد ٣٦ لسنة ٢٠١٥.
- (6). ظ: الترخص في لغة القران الكريم- دراسة في المفهوم- م. د. شكيب غازي بصري الحلفي، مجلة مركز دراسات الكوفة العدد ٣٦ لسنة ٢٠١٥.
- (7). مقالات في اللغة والأدب: د. تمام حسان: ١٩٥/٢.
- (8). م. ن: ١٩٦/٢.
- (9). م. ن.
- (10). العين: الفراهيدي: رتب. وظ: لسان العرب: ابن منظور: رتب.
- (11). ظ: تاج العروس: للزبيدي: رتب.
- (12). ظ: لسان العرب: رتب.
- (13). ظ: العين: رتب.
- (14). القرائن اللغوية نوعان:  
النوع الأول: القرائن المعنوية وهي خمس قرائن كالاتي:  
١. الإسناد: ويكون بين جهتي الاسناد المسند والمسند إليه، كالمبتدأ والخبر والفعل والفاعل وما يقوم مقامهما.

٢. التخصيص: وهي علاقة سياقية كبرى، وتتفرع عنها قرائن اخرى فرعية وهي ((التعددية، الغائية، المعية، الظرفية، الحديد والتوكيد، الملابس، التفسير، الاخراج، المخالفة)).
٣. النسبة: والمراد بها الاضافة في النحو القديم.
٤. التبعية: ويندرج تحتها أربع قرائن هي ((النعته والعطف والتوكيد والابدال)).
٥. المخالفة.

النوع الثاني: القرائن اللفظية وعددها ثمان قرائن هي:

١. العلامة الاعرابية: وهي من اكثر القرائن اهمية واعتمادا في الدرس النحوي القديم وعليها اقيم النحو كله.
٢. الرتبة: وهي نوعان رتبة محفوظة واخرى غير محفوظة.
٣. الصيغة: وهي صيغة تهتم ببيان المعاني الصرفية للابواب النحوية.
٤. المطابقة: ومسرحتها الصيغ الصرفية والضماير، فلا مطابقة في الادوات ولا في الظروف.
٥. الربط: وتقوم بوظيفة الربط بين عنصري الجملة اللغوية الواحدة.
٦. التضام: وهي قرينة تكشف عن طرق الرصف اللغوي الممكنة.
٧. الأداة: وهي قرينة تستعمل للتعليق بين اجزاء الكلم كحروف الجر والاستفهام.
٨. النغمة: وهو الاطار الصوتي الذي تقال فيه الجملة في السياق.

(15) كشف اصطلاحات الفنون: للتهانوي: ٥٧٥.

(16) وهي:

- القرينة اللفظية، كقوله تعالى: ﴿اعْدِلُوا هُوَ اقْرَبُ لِلتَّقْوَى﴾ سورة المائدة: ٨، أي العدل اقرب للتقوى.
- القرينة العقلية، كقوله تعالى: ﴿اشْرَبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ﴾ سورة البقرة: ٩٣، أي حب العجل لأن العجل لا يشرب.
- القرينة الحالية، كقوله تعالى: ﴿وَإِذِ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يُعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ فَأَوْوَا إِلَى الْكُهْفِ﴾ سورة الكهف: ١٦.
- قرينة السياق والمقام، ويعد من اكثر القرائن قدرة في تحديد المعنى المراد.

- (17) نظرية النحو العربي: نهاده موسى: ٣٤، وظ: قرينة الرتبة في اللغة العربية: م.م. امل باقر جبارة.
- (18) ظ: اثر القرائن العلائقية في اتساق النص في نهج البلاغة (خطب الحروب أمودجا) رسالة ماجستير: ايناس براك بشان الحدراوي: ٨٦.
- (19) أقسام الكلام العربي: فاضل مصطفى الساقى: ١٤٦.
- (20) لغة الشعراء دراسة في الضرورة الشعرية: محمد حماسة عبد اللطيف: ٢٨٥.
- (21) ظ: م. ن. ٢٨٥.

- (22) البنى النحوية، نوم جومسكي، ترجمة يؤيل يوسف عزيز: ٧.
- (23) ظ: من أسرار اللغة: إبراهيم أنيس: ٢٩٥، و: المعنى وظلال المعنى: محمد محمد يونس علي: ٣٣١.
- (24) ظ: الظواهر اللغوية: علي أبو مكارم: ٢٣٣.
- (25) ظ: اثر القرائن العلاقية في اتساق النص في نهج البلاغة (خطب الحروب انودجا): ٨٨.
- (26) ظ: الجملة العربية تأليفها: وأقسامها فاضل السامرائي: ٣٦.
- (27) اثر القرائن العلاقية في اتساق النص في نهج البلاغة (خطب الحروب انودجا): ٨٨.
- (28) ظ: القرينة في اللغة العربية: كوليزار كاكل عزيز: ٩٩.
- (29) الجوانب النفسية في اللغة د. سلطنة الجابر، شبكة المعلومات العالمية (الأنترنت)، متدى التعليمي.
- (30) اللغة: فندريس: ١٨٧.
- (31) لغة الشعر دراسة في الضرورة الشعرية: ٢٨٥.
- (32) ظ: اللغة العربية معناها ومبناها: ٢٠٩، ٢٠٨.
- (33) الكتاب: ٣٤/١.
- (34) أثر القرائن العلاقية في اتساق النص في نهج البلاغة (خطب الحروب انودجا): ٨٨.
- (35) ظ: الأصول: ابن السراج: ٢/٢٢٢، و:، الصاحبي في فقه اللغة: ابن فارس: ٢٤٤.
- (36) ظ: الأصول: ٢/٢٩٤، و الإنصاف في مسائل الخلاف: ابن الأنباري: ١/٢٣٦.
- (37) الأصول: ٢/٢٣٨.
- (38) شرح كتاب سيبويه السيرافي، ٣/١٠١.
- (39) الخصائص: ابن جنبي: ١/٢٩٣.
- (40) ظ: شرح ابن عقيل: ابن عقيل، ١/٢٤٠.
- (41) اللغة العربية معناها ومبناها: ٧٤.
- (42) دلائل الإعجاز: ٣٥٩.
- (43) ظ: رصف المباني في شرح حروف المعاني: المالقي، ٤١١.
- (44) دلائل الإعجاز: ٣٣٧.
- (45) ظ:، القرينة في اللغة العربية: ١٠٣.
- (46) نحو قوله تعالى: ﴿أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُنْبِتُوا شَجَرَهَا أَلَمْ يَعْزِمِ اللَّهُ بِرَأْسِهِ أَنْ يَحْمِلَهُمْ أَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ بَدَنًا لَمْ يَكُنْ لَهُمْ كُفُوًا لَهُمْ خُلُقُهُمْ وَإِنْ أَنْزَلْنَا إِلَهُكُمُ الْمَلَائِكَةَ لَيُقْضَىٰ عَلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ مُلْحَقُونَ﴾

الأرض أعله مع الله قليلاً ما تذكرون ❖ أمن يهديكم في ظلمات البر والبحر ومن يرسل الرياح بشراً بين يدي رحمته أعله مع الله تعالى الله عما يشركون ❖ أمن يبدأ الخلق ثم يعيده ومن يرزقكم من السماء والأرض أعله مع الله قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين»، سورة النمل: ٦٠-٦٤، فقد جاء الترتيب النصي في الآيات السابقة مراعيًا بعدين من أبعاد الترتيب الأول: زمن وجود كل عنصر مذكور في الآيات فبدأ بذكر السموات فالأرض مهدت فيه للأرض ما جرى عليها وتشكل، ثم أعقب ذلك بزمن وجود الإنسان و استخلافه. والثاني: حجم العناصر في الوجود، فبدأ بالكليات ثم أخذت مساحة هذه الموجودات تصغر شيئاً فشيئاً، مما يؤكد على الترتيب الدقيق لعناصر التكوين، ظ: د. أمير فاضل سعد، الترتيب والتتابع: ٧٨، ٧٩، وعليه فقيد الترتيب عند البلاغيين يأتي على وفق هذه الضوابط والأسس المنسجمة وسياق المعنى وهذا متعلق بالعمق الدلالي للترتيب.

(47) ظ: العربية معناها ومبناها: ٢٠٧، وأقسام الكلام العربي: ١٤٦.

(48) البيان في روائع القرآن: تمام حسان: ٩١.

(49) أقسام الكلام العربي: ١٤٦.

(50) ظ: الاصول: ٢/٢٢٣-٢٤٦.

(51) ظ: العلامة الإعرابية: ٣١٤.

(52) ظ: م. ن. ٣١٤.

(53) ظ: اثر القرائن العلاقية في اتساق النص في نهج البلاغة: ٩٢.

(54) م. ن.

(55) ظ: الخلاصة النحوية: تمام حسان: ٨٦.

(56) ظ: اثر القرائن العلاقية في اتساق النص في نهج البلاغة: ٩٢.

(57) ظ: دور الرتبة في الظاهرة النحوية: عزام محمد ذيب إشرده: ١٠٨، وعليه فالعدول في الرتبة غير المحفوظة يخضع لاعتبارات بلاغية ومعنوية بخلاف الرتبة المحفوظة فلا نجد فيها البلاغة؛ لكونها خاضعة للقاعدة الأصلية والقيود في النحو العربي، ما جعلها تفتقر إلى التعليل، يؤكد ذلك "تمام حسان" بقوله: (( لا يتناول التقديم والتأخير البلاغي ما يسمى في النحو باسم الرتبة المحفوظة؛ لأن هذه الرتبة المحفوظة لو اختلفت باختلاف التركيب باختلافها))، تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها: ٢٠٧؛ لذا حاول البحث الابتعاد عنها لأنها أصل والأصل لا يعلل، فالتعليل دائماً يكون رفيق الانزياح؛ واقتصر البحث على "الرتبة غير المحفوظة" لما لها من فوائد وأسباب أسلوبية ومعنوية.

(58) ظ: اللغة العربية معناها ومبناها: ٢٠٧، و: أقسام الكلام العربي: ١٤٧.

(59) وهذا النوع يتعلق بتعدد العناصر التي تقع في الباب النحوي الواحد، كتعدد الخبر، والنعته، والحال، والمتعاطفات، فتكون مختلفة أفراداً وتركيباً "مفرد، شبه جملة، جملة"، ويُعرف (تمام حسان) هذه الأشباه بقوله: ((أفراد كل طائفة من الطوائف حين تتوالى فتشور قضية ترتيبها، والنظر إلى أيها أولى بالتقديم من سواه))، فاتخذ الصورة الآتية في ترتيبها على خط أفقي: "الكلمة المفردة+ المركب العددي أو الإضافي+ شبه الجملة+ الجملة التامة"، مراعيًا في ذلك الترتيب أمن اللبس مع تحقيق الفائدة، نحو قوله تعالى: ﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ ﴿سورة غافر: ٢٨﴾، فقد جاءت صفات الرجل مترتبة بحسب الطول والقصر مبتدأ في ذلك من الأفراد "مؤمن"، فشبه الجملة "من آل فرعون"، فالجملة التامة "يكتُمُ إيمانه"، وقد سبقه القدماء في بيان هذا اللون من الترتيب؛ إذ يقدمون النعت المفرد ويوسطون الظرف أو شبهه، ويؤخرون الجملة. وهذا (ابن جني) يقدم في ترتيبه النبوي للكلمات الواحد على الجمع معللاً ذلك بقوله: ((إن الواحد أقدم في الرتبة من الجمع وإن الجمع فرع على الواحد)).

ولا يقتصر الأمر على الترتيب الموقعي للعناصر اللغوية، وإنما يتعداه للترتيب الزمني، فترتيب الأفعال زمانياً يكون بحسب نوع الفعل، فيقدم العلماء فعل المستقبل على غيره ليعل ذلك (الزجاجي) بقوله: ((أعلم أن أسبق الأفعال في التقديم الفعل المستقبل؛ لأن الشيء لم يكن ثم كان والعدم سابق للوجود، فهو في التقديم منتظر ثم يصير في الحال (ثم) ماضياً، فيخبر عنه بالمضي، فأسبق الأفعال في المرتبة المستقبل ثم فعل الحال ثم فعل الماضي)) وهذا الترتيب يفرضه ترتيب الأحداث التي ستقع وبعد وقوعها يصبح ترتيبها ماضياً، ما يؤدي إلى تحقيق الفهم والإفهام، ومن ثم تعيين معنى الفاعلية؛ لأنه بعد الفعل بحسب الرتبة. ويشمل هذا الترتيب للعناصر اللغوية ترتيب الضمائر ولاسيما المتصلة منها، فغالباً ما يقدم العلماء ضمير المتكلم على المخاطب ومن ثم الغائب إن اجتمعن، يقول (ابن مالك):

وقدم الأخص في اتصال وقدمن ما شئت في انفصال

فهذا الترتيب المختص بضمائر الاتصال ناتج عن علاقتها بمراجعها، ومن ثم أن تلازمها مع مرجعها يعطي البنية التركيبية تمييزاً، ولاسيما في تعيين المعنى وتقريره.

(60) ظ: اوضح المسالك: ابن هشام: ١٤٦/١.

(61) ظ: الحلل في اصلاح الخلل من كتاب الجمل للبطلوسى: ١٥١.

(62) سورة القمر: ٧.

(63) ظ: مغني اللبيب: ابن هشام: ٢٦٤/٢، والاصول: ٢٩٢/٢.

(64) ظ: شرح ابن عقيل: ٢٧٠/٢.

(65) البيان في روائع القرآن: ٢٣٣/١.

(66) ظ: شرح ابن عقيل: ٢٣٩/١.

(67) اللغة العربية معناها ومبناها: ٢٠٧.

(68) م.ن.

(69) إضافة إلى ما ذكر، فمن الرتب المحفوظة تقديم الموصوف على الصفة وتأخير البيان عن المبين والمعطوف بالنسق على المعطوف عن المعطوف عليه والتوكيد عن المؤكد والبدل عن المبدل والتمييز عن الفعل ونحوه وصدارة الأدوات في أساليب الشرط والاستفهام والعرض والتحصيض ونحوها.

(70) مجلة الفيصل: العدد: ٣٧.

(71) مبدأ تضافر القرائن تفسير لغوي قال به الدكتور تمام حسان في اغلب كتبه اللغوية وينص على: إن المعنى النحوي أو معنى الجملة لا يمكن تحديده من خلال قرينة واحدة كالقرينة الاعرابية مثلا لأن هذه الأخيرة قد تغيب عن الجملة وبالتالي يجب البحث عن قرائن أخرى في النص تقوم بتحديد المعنى المراد حتى وإن غابت القرينة الاعرابية وهو تفسير يجعلنا نتخلص من كثير من المقولات النحوية التي أثقلت النحو وافقدته قمته كالقول بالشذوذ والتأويل... الخ فضلا عن إسهام هذه النظرية في إلغاء نظرية العامل فيكون هذا المبدأ من مظاهر التجديد في الدرس النحوي، يقول الدكتور تمام حسان ((إن العلامة الاعرابية بمفردها لا تعين على تحديد المعنى فلا قيمة لها بدون ما أسلفت القول فيه تحت اسم (تضافر القرائن) وهذا القول صادق على كل قرينة أخرى بمفردها سواء أكانت معنوية أم لفظية وبهذا يتضح أن (العامل النحوي) وكل ما أثير حوله من ضجة لم يكن أكثر من مبالغة أدى إليها النظر السطحي والخضوع لتقليد السلف والأخذ بأقوالهم على علاتها)) اللغة العربية معناها ومبناها: ٢٠٧.

(72) أجد مقولة أن النص القرآني استطاع أن يثري اللغة العربية ثراء كبيرا من حيث النظام قولاً مبالغا فيه، وهذا لا يعد طعنا بأقدس نص نزل من السماء - بقدر ما هو تحديد لأصل الموضوع في أن اللغة العربية من الرصيد المعجمي الكثير، ولم يضاف إليها القرآن الكريم مفردة واحدة غير ما موجود في المعجم، وإن هذه الدقة التعبيرية التي نلمس آثارها في إعجاز القرآن إنما هو دليل على مرونة اللغة ودقتها في التعبير عن أدق تفاصيل المعنى، إلا إذا كان المقصود بهذا الثراء استعمال أوسع النطاق لنظام اللغة العربية، فهو رأي اتفق معه، لأن النص القرآني ولأنه نص مطلق من متكلم مطلق استعمل النظام اللغوي بأوسع مجال له وفي استعمال نسبة مئوية قليلة من رصيد المعجم العربي، لأن الإعجاز يصبح ذا قيمة أكبر إذا حسبنا نسبة ما استعمله القرآن إلى نسبة الرصيد المعجمي كله.

(73) ظ: اللغة: فندريس، تعريب عبد المجيد الدواخلي ومحمد القصاص: ١٨٧.

- (74) البيان في روائع القرآن: ١/ ٦٧، ٦٨.
- (75) م.ن.
- (76) دلائل الإعجاز: ١٠٦.
- (77) م.ن: ١٠٦.
- (78) المثل السائر: لأبن الاثير: ٢/ ٢١٦.
- (79) ظ: مفتاح العلوم للسكاكي: ٢٩١، ٣٣٧، ٣٤٠، ٣٤٢، والبرهان في علوم القرآن للزركشي: ٣/ ١٥١.
- (80) البيان في روائع القرآن: د. تمام حسان: ١/ ٦٧.
- (81) الضرورة الشعرية في النحو العربي: ٤١٤.
- (82) لقد طرحت أسباب وأوصاف تُبرر حفظ رتبة المبتدأ بتقدمه على الخبر، منها ما عدّ بأن المبتدأ هو المحكوم والخبر هو الحكم، ومن ثم فلا بد أن يسبق الحكم وجود المحكوم، هذا ما أكدّه (الرضي) بقوله: ((إنما كان أصل المبتدأ التقديم لأنه محكوم عليه ولا بد من وجوده قبل الحكم، فقصد في اللفظ أيضاً أن يكون ذكره قبل ذكر الحكم عليه))، شرح الرضي على الكافية: ١/ ٢٢٩، وكذلك ما قيل بأن الخبر هو وصف للمبتدأ من ناحية المعنى، ومن ثم فلا بد من تأخر الوصف عن الموصوف، يقول (ابن عقيل) بهذا الشأن: ((الأصل تقديم المبتدأ وتأخير الخبر؛ لأن الخبر وصف في المعنى للمبتدأ فاستحق التأخير كالوصف))، شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك: ١/ ٢٢٧.
- (83) قواعد النحو العربي في ضوء نظرية النظم: سناء حميد البياتي: ٣٨٨.
- (84) ظ: قواعد النحو العربي في ضوء نظرية النظم: سناء حميد البياتي: ٣٨٨، و: الإعجاز الصرفي في القرآن الكريم: ١٤٣.
- (85) سورة الحج: ٢١.
- (86) المراد ببنية التنفيذ: البنية السطحية.
- (87) تفسير ابي السعود: ٤/ ٤٥٩.
- (88) سورة الزمر: ٢٩.
- (89) تفسير ابي السعود: ٦/ ٧ وظ: روح المعاني للالوسي: ١٧/ ٤٦٣.
- (90) الكتاب: ٤/ ٣٤٨.
- (91) روح المعاني: ١٧/ ٤٦٣.
- (92) تفسير ابي السعود: ٦/ ٧.
- (93) ظ: شرح الفية ابن مالك: ابن الناظم: ٤٥.
- (94) الأشباه والنظائر للسيوطي: ٢/ ٦٤.

- (95) ظ: القرائن العلائقية واثرها في الاتساق (سورة الانعام أمموذجا): ٨٤-٨٥.
- (96) سورة الانعام: ٢٨.
- (97) الرعد ٢٦، ورد هذا التركيب في القرآن الكريم ثمان مرات وفي مرتين ذكرت مفردة (الرب) بدلا من لفظ الجلالة (الله).
- (98) ظ: دلائل الإعجاز: ١٢٨، وقريئة الرتبة في اللغة العربية: ١١.
- (99) ظ: بلاغة الكلمة والجملة والجمل: منير سلطان: ١٣٨.
- (100) ينظر البحث: نوعا الرتبة.
- (101) سورة الفاتحة: ٥.
- (102) البحر المديد: ٦/١.
- (103) الانعام: ١٥٨.
- (104) البيان في روائع القرآن: ٧٠/١.
- (105) سورة الصافات: ٨٦.
- (106) البيان في روائع الكلام: ٧٠.
- (107) الكشف للزمخشري: ٤/٤٧١.
- (108) سورة محمد: ٢٤.
- (109) المعنى في الجملة الاولى ((في الدار صاحبها)) يعود الضمير على الدار فهو صاحبها، أما قولنا: "صاحبها في الدار" فيحتمل الأمرين أن يكون صاحبها في الدار أو غيره.
- (110) سيبويه، الكتاب: ٣٤/١.
- (111) دلائل الإعجاز: ١٠٧، ١٠٨.
- (112) م. ن: ١٢٨.
- (113) سورة الشورى: ٥٣.
- (114) ظ: القرينة في اللغة العربية: ٢٦٨.
- (115) سورة المؤمنون: ٥٩.
- (116) دلائل الإعجاز: ١٣٨.
- (117) القرينة في اللغة العربية: ٢٧٣.
- (118) ظ: الأسس النفسية للبلاغة العربية: مجيد عبد الهادي ناجي: ١٣٠.
- (119) اللغة العربية معناها ومبناها: ٢١٠.
- (120) ظ: م. ن. ٢٠٩، ٢٠٨.
- (121) ظ: شرح الرضي على الكافية: ٣٠/٢.

المصادر والمراجع:

❖ القرآن الكريم

١. الأسس النفسية لأساليب البلاغة العربية: مجيد عبد الحميد ناجي، مطبعة المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع- بيروت، ط١، ١٤٠٤-١٩٨٤.
٢. الأشباه والنظائر في النحو؛ أبو الفضل جلال الدين عبد الرحمن: (ت٩١١هـ) السيوطي تح: د. عبد العال سالم مكرم، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٩٨٥م.
٣. الأصول في النحو؛ ابن السراج؛ (ابو بكر محمد بن سهل ابن السراج النحوي البغدادي (ت٣١٦هـ)؛ تح: الدكتور عبد الحسين الفتلي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٢، ١٤٠٧م.
٤. الإعجاز الصرفي في القرآن الكريم، عبد الحميد هندراوي؛ المكتبة العصرية، بيروت، (د. د. ط) ٢٠٠٤م.
٥. أقسام الكلام العربي من حيث الشكل والوظيفة، فاضل مصطفى الساقى؛ مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٢، ١٤٢٩هـ.
٦. الإنصاف في مسائل الخلاف؛ ابن الأنباري (أبو البركات كمال الدين عبد الرحمن بن محمد بن أبي سعيد ت-٥٧٧هـ)؛ تح: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار إحياء التراث العربي، القاهرة، (د. د. ط)، (د. ت).
٧. أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك: أبو محمد عبد الله جمال الدين بن يوسف بن هشام الأنصاري المصري، تح: محمد محيي الدين عبد الحميد، المطبعة: السعادة - مصر، ط: ٤ (١٩٥٦).
٨. البحر المديد في تفسير القرآن المجيد: الإمام العلامة أبي العباس أحمد بن محمد بن المهدي ابن عجينة الحسيني المتوفى سنة (٢٢٤هـ)، تحقيق عمر أحمد الراوي، راجعها ودققها وقارنها على الاصل المخطوط عبد السلام العمراني الخالدي العرايشي، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط٢ (١٢٢٦هـ-٢٠٠٥م).
٩. البرهان في علوم القرآن، بدر الدين الزركشي (ت٧٩٤هـ)، قدم له وعلق عليه وخرج أحاديثه، مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١ (١٤٢٨هـ-٢٠٠٧م).
١٠. بلاغة الكلمة في التعبير القرآني: الدكتور فاضل صالح السامرائي، دار الشؤون الثقافية العامة- بغداد، ط١ (٢٠٠٠).
١١. البنى النحوية، نوم جومسكي؛ تر: د. يوثيل يوسف عزيز، مراجعة: مجيد الماشطة، ط١، ١٩٨٧م.
١٢. البيان في روائع القرآن؛ د. تمام حسان، عالم الكتب؛ القاهرة؛ ط٢؛ ٢٠٠٠م.

١٣. تاج العروس من جوهر القاموس أبي فيض السيد محمد مرتضى الحسيني الواسطي الزبيدي (ت: ١٢٠٥هـ)؛ تح: علي شبري، دار الفكر، بيروت، (د. ط)، ١٤٠٤-١٩٨٤م.
١٤. الجملة العربية، تأليفها وأقسامها: فاضل صالح السامرائي، منشورات المجمع العلمي، بغداد.
١٥. كتاب الخلل في إصلاح الخلل من كتاب الجمل؛ السيد البطلوسي، (أبو محمد عبد الله بن محمد بن السيد البطلوسي) (ت: ٥٢١هـ)؛ تح: سعيد عبد الكريم سعودي، دار الرشيد للنشر، العراق، (د. ط)، ١٤٢٩-٢٠٠٨م.
١٦. الخصائص؛ ابن جني؛ (أبو الفتح عثمان بن جني) (ت: ٣٩٢هـ)؛ تح: محمد علي النجار؛ دار الكتب المصرية، مصر (د. ط)، (د. ت).
١٧. الخلاصة النحوية، د. تمام حسان، عالم الكتب، للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ط١، ١٤٢٠-٢٠٠٠م.
١٨. دلائل الاعجاز؛ الجرجاني (أبي بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن) (ت: ٤٧١هـ)؛ تح: محمود محمد شاكر، مكتبة الخانجي، القاهرة، ٢٠٠٤م.
١٩. شرح ابن عقيل؛ ابن عقيل؛ (بهاء الدين عبد الله) (ت: ٧٦٩هـ)؛ تح: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة التجارية، مصر، ط١٣٨٤، ١٤٠٤-١٩٦٤م.
٢٠. شرح الرضي على الكافية؛ الرضي؛ (رضي الدين محمد بن الحسن الاسترآبادي، ت: ٦٨٦هـ)؛ تصحيح وتعليق: يوسف حسن عمر، جامعة قار يونس، (د. م)، (د. ط)، ١٣٩٥-١٩٧٥م.
٢١. شرح كتاب سيبويه؛ السيرافي؛ (أبو سعيد الحسن بن عبد الله بن المرزبان) (ت: ٣٦٨هـ)؛ تح: د. فهمي أبو الفضل، مراجعة: أ. د. رمضان عبد التواب، وأ. د. محمود علي مكي، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط١، ١٤٢١-٢٠٠١م.
٢٢. الظواهر اللغوية في التراث النحوي علي ابو المكارم، دار غريب للطباعة والنشر، القاهرة، ط١، ٢٠٠٧م.
٢٣. العلامة الإعرابية في الجملة: د. محمد حماسة عبد اللطيف، دار الكتب المصرية- القاهرة، ط١ (٢٠٠٠م).
٢٤. - كتاب العين، الخليل؛ (أبي عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي) (ت: ١٧٥هـ)؛ تح: د. مهدي المخزومي، و. د. إبراهيم السامرائي، مؤسسة دار الهجرة، (د. م)، ط٢، ١٤١٠هـ.
٢٥. قواعد النحو العربي في ضوء نظرية النظم: سناء حميد البياتي؛ دار وائل للنشر والتوزيع، عمّان، الأردن- ٢٠٠٣م.

٢٦. كشاف اصطلاحات الفنون ولعلوم، محمد علي التهانوي (ت. ق ١٢هـ)، تقديم وإشراف ومراجعة الدكتور توفيق العجم، تحقيق الدكتور علي دحروج، نقل النص الفارسي إلى العربية، الدكتور عبد الله الخالدي.

٢٧. الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، الزمخشري؛ (أبي القاسم جار الله محمود بن عمر: (ت ٣٧٥هـ))؛ تحقيق وتعليق ودراسة: عادل أحمد عبد الموجود، علي محمد معوض. شارك في تحقيقه د. فتحي عبد الرحمن أحمد حجازي، دار الإحياء العربي، بيروت- لبنان، ط ١، ١٤١٧-١٩٩٧م.

٢٨. لسان العرب: أبو الفضل جمال الدين محمد بن منظور الإغريقي المصري. دار صادر. بيروت، ط ٤ (١٩٥٥).

٢٩. لغة الشعر دراسة في الضرورة الشعرية: د. محمد حماسة عبد اللطيف، دار الشروق، القاهرة، ط ١، ١٤١٦-١٩٩٦م.

٣٠. اللغة العربية معناها ومبناها د. تمام حسان، عالم الكتب، ط ٤ (١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م).

٣١. اللغة: فندريس تر: عبد الحميد الدواخلي، و محمد القصاص، مكتبة الانجلو المصرية، مطبعة لجنة البيان العربي - مصر (د-ت).

٣٢. المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ضياء الدين بن الأثير (ت ٦٣٨هـ)، قدمه وحققه وعلق عليه: د. أحمد الحوفي، الدكتور بدوي طبانة، مكتبة نهضة مصر، ط ١ (٣٨٠هـ/١٩٦٠م).

٣٣. المعنى وظلال المعنى - أنظمة الدلالة في العربية، محمد محمد يونس علي، دار المدار الإسلامي، بيروت- لبنان، ط ٢، ٢٠٠٧م.

٣٤. مغني اللبيب عن كتب الأعراب، أبو محمد عبد الله جمال الدين بن يوسف بن أحمد بن عبد الله بن هشام الأنصاري، تح: محمد محيي الدين عبد الحميد، ((د.ط.)) (د.ت).

٣٥. مفتاح العلوم؛ السكاكي؛ (أبو يعقوب يوسف بن أبي بكر: ت ٦٢٦هـ)؛ تح: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م.

٣٦. مقالات في اللغة والأدب د. تمام حسان، عالم الكتب- القاهرة، ط ١ (١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م).

٣٧. من أسرار اللغة العربية د. إبراهيم أنيس، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط ٦، ١٩٧٨م.  
الرسائل والأطاريح:

١. الالفاظ الواردة مرة واحدة في القرآن الكريم-دراسة لغوية، شكيب غازي بصري الحلفي، أطروحة دكتوراه، كلية الآداب، ٢٠١١.

٢. أثر القرائن العلائقية في اتساق النصّ في نهج البلاغة (خطب الحروب إنموذجاً) إيناس عبد براك بشان الحدراوي، بإشراف الأستاذ الدكتور عبد الكاظم محسن الياسري، كلية التربية للبنات-جامعة الكوفة ٢٠١٥.

٣. القرائن العلائقية وأثرها في الاتساق (سورة الانعام أنموذجا، دراسة وصفية احصائية) سليمان بوراس، إشراف أ.د. فرحات عياش لسنة ٢٠٠٨-٢٠٠٩

٤. القرائن النحوية اللفظية والاتساق النصي، سليمان بوراس باشراف الاستاذ الدكتور عياش فرحات، وهي اطروحة دكتوراه كلية الآداب واللغات- قسم اللغة العربية، الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية- جامعة الحاج لخضر باتنة.

البحوث والدراسات.

٥. الجوانب النفسية: سلطنة الجابر؛ المنتدى التعليمي، شبكة المعلومات العالمية (الأنترنت).

٦. الترخص في لغة القرآن الكريم- دراسة في المفهوم- م.د. شكيب غازي بصري الحلفي، مجلة مركز دراسات الكوفة العدد ٣٦ لسنة ٢٠١٥.

٧. قرينة الرتبة في اللغة العربية، م.م أمل باقر جبارة، شبكة المعلومات العالمية (الانترنت)

